قِصَّةُ هِجْرَة

الإمام محمَّد ناصر الدِّين الألباني

إلى الأردن، وإبعاده عنها، ثم عودته إليها

(كأنك تراه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي أنزلَ على عَبده كتابًا متشابهًا مثاني، وجعَل ما أَنزله على نبيه محمدٍ ﷺ من الحِكمة الوَحيَ الثاني، ورفَع لأهلِ الحديث مِن أتْباع الوحيين المَبَاني، فَهُم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية؛ كما قال الإمام الرباني أحمدُ بن حنبل الشيباني.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله، الذي كَفَاه المستهزئَ والشَّاني.

أما بعد: فقد أشارَ عليَّ بعضُ مَن ثَبَتَت في القلب موَدَّتُه، وطابَت لي صُحبَتُه، أنْ أكتُبَ مختصرًا لهجرة الإمام العالم المحدِّث النَّبيل «أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني» مِن دمشق إلى عمّان، ثم ما جَرى عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من إبعادٍ له عنها، ثم عودتِه إليها واستقراره فيها، في العَقْدين الأخيرين من حياته المباركة.

وذلك أنَّ الأخ بلَغَه خبرُ كتابي الكبير: «**مناقب الإمام الألباني**- السيرة الدمشقية»، فقد كنتُ نشرتُ بعضَ أخباره في أجزاء مفرَدة؛ اقتضت بعضُ المناسبات التعجيلَ بها، ولما كانت هذه الهجرة مما له اتصال بسيرة الشيخ الدمشقية، فقد جعلتُها البابَ الثالث في كتابي المذكور.

فاستجبتُ لطَلِبة ذلك الشيخ الفاضل، وحَرَّرتُ ما ورَد في هذه القصة من الأخبار والمعاني، وأبحتُ لقُرّائها ما فيها من العرائس الأبكار الغَواني، فدونكم هذا الروضَ المِعطار والجَنى الداني، فلا يفوتنَّكم ما فيه من الأريج والأزهار الحسانِ.

وقد سُقْتُها مَساقَ القَصص، ليَحلُوَ بها السَّمَر، وجَلَوتُها لقاريها ليأخذَ منها العِبَر، وأمّا أسانيدُها ورواتُها، فتجدُ خَبرَهم في كتابي الكبير عن الشيخ، فقد أخبرني بها جماعةٌ من أصحابه وأبنائه وأصهاره وأقاربه وجيرانه، وقد دَوَّن بعضَها الشيخُ بيده في كُتُبه.

وهي قصةٌ: أوَّلُها دمشقي، وآخرها عمّاني، وبينهما خَبَرُ بيروت، ثم الإمارات وقطَر والكويت، وقد سمعتُها مِن أهلِ كُلِّ بلد من هذه البُلدان، والله الموفق والمستعان.

وكتب: حسام بن محمد سيف الضُّمَيري في ١٩ جمادى الآخرة ١٤٤٢

الهجرة من ألبانيا إلى دمشق

بعد عودة الحاجّ نوح نَجَاتي مِن رحلته الطويلة إلى الديار المقدَّسة قاصدًا الحج إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة، ثم زيارة مسجدَي المدينة وبيت المقدس، تلك الرحلة التي زار فيها العاصمة العثمانية «الأستانة» -وكان قبلُ قد درَس في معاهدها العلومَ الشرعية، وتخرَّج منها، وصار مرجعًا لأهل بلده- مرورًا بـ(شام شريف) بلاد الشام ودمشق، في ذهابه وإيابه، وكان قد عَرف ما ورد في الكتاب والسنة من فضائلها وفضائل الإقامة فيها، ومنها قوله ﷺ: (**ستكون هجرةٌ بعد هجرةٍ، فخِيارُ أهل الأرض ألزمُهم مُهاجَر إبراهيم**)(١) ورأى من حُسنها وجمالها، ما بقي عالقًا في ذاكرته؛ وما فَتِئ يحدِّث مَن لقيَه عنها وعن أهلها.

ولم يمضِ إلا وقتٌ قليل على عودة الحاج نوح إلى بلده «أشقودرة» وهي عاصمة ألبانيا في ذلك الوقت، واستئنافِه الدعوة والتعليم- حتى تولى حُكْمَ ألبانيا (الملك أحمد زوغو) وكان زائغَ القلب، فسار في البلاد في طريقِ تحويلها إلى بلادٍ علمانية، تُقَلِّدُ الغربَ في جميع أنماط حياته، فتوجَّس الحاجُّ نوح خِيفةً، وتوقّع أنْ يَسوء الحالُ جدًّا فقرَّر الهجرة إلى بلاد الشام؛ فرارًا بدينه، وخوفًا على أولاده من الفِتن، ووقع اختيارُه على «مدينة دمشق» التي كان قد تعرَّف عليها مِن قَبْلُ في طريق ذهابه وإيابه إلى الحج، ودفَعَه إلى ذلك ما وردَ في فضلِ هذه البلاد من الأحاديث، ودعاء الرسول ﷺ لها بالبَركة.

فحمَل معه ما خَفّ من المتاع، وسار بنفسه قاصِدًا مدينةَ دمشق؛ مهاجِرًا إليها عن طريق «تركية»، حتى حَطَّ رِحاله شمالَ البلد القديمة، في حيٍّ كان يُعرف بـ«حي الديوانية».

ثم لحق به أهلُه وأولاده: «نجيب، وفخري، وناجي، وناصر، ومنصور، ومنير، وابنته الوحيدة: (وحيدة)»، الذين كان قد سَماهم بأسماء مركَّبة -على الطريقة العثمانية!-، فجعل أمام اسمِ كلِّ واحدٍ منهم اسمَ النبي محمَّد تبرُّكًا بهذا الاسم، ورغبةً في أن ينشؤوا صالحين متّبعين لنبيهم محمد ﷺ.

---

(١) انظر لزامًا ما كتبه الشيخ عن نفسه وأسرته عند تخريجه لهذا الحديث في «السلسلة الصحيحة» (٣٢٠٣).

فتسامَع الناسُ في «أشقودرة» وما حولها بهجرةِ شيخهم الحاج نوح، فلَحِقوا به، وتتابَعوا وكَثُروا، ونزَل جميعُهم في ذلك الحي الدمشقي؛ الذي أصبح يسمى باسم: «حارة الأرناؤوط»، نسبةً إلى أولئك المهاجرين الألبَانْ -كما كانت تسميهم الحكومة التركية-.

والتحَق بعضُ أولاد الحاج نوح بمدرسة (جمعية الإسعاف الخيري) بدمشق، وكان أوسُطهم: (ناصر) فتىً قد قارب العاشرة؛ أشقر الشعر، أزرق العينين، تبدو عليه مَخايل النَّجابة، فتابَع دراسته، حتى أتمّ الابتدائية بتفوُّق، وخاصة في اللغة العربية، وتجويد الخط.

ونظرًا لسوء رأي والده الحاج نوح في المدارس النظامية من الناحية الدينية -حيث طرأ تغييرٌ كبير على مناهجها- فقد قرَّر عدم إكمال ابنه ناصر الدراسة، ووضَع له برنامجًا علميًّا مركَّزًا، قام من خلاله بتعليمه القرآن والتجويد، فأقرأه خَتْمَةً كاملة من القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم تجويدًا، وتلقّى عنه أيضًا بعضَ علومَ الآلة؛ كعِلم الصَّرف، و درّسه متنَ «مختصَر القُدُوري» في الفقه الحنفي.

كما شارك في تعليمه بعضَ العلوم الدينية والعربية بعضُ أصدقاء والده؛ منهم الشيخ سعيد البرهاني[1]، فدرَس عليه «مراقي الفلاح» في الفقه الحنفي، و«شذورَ الذهب» في النحو، وبعضَ كُتُب البلاغة.

وكان الحاج نوح فقيرًا ذا عيال، وكان إمامًا ومرجعًا دينيًّا لبني جنسه، ويعملُ في تصليح الساعات، وعندما أخرَج ابنَه ناصرًا من المدرسة، أمَرَه أن يبحث عن عمل، حتى يُعينه ويعين نفسه، فاشتغل أوّلاً في النِّجارة، ولما رأى أنَّ النِّجارة تأخذ جهدًا كبيرًا ووقتًا طويلاً، تدرَّب عند والده على تصليح الساعات، ثم انتقل إلى (دكانٍ) خاصٍّ به، كان قد استأجرها.

وكانت هجرتُه إلى بلاد الشام وتعلّمُه مهنة الساعات، نعمتين كبيرتين، مَنَّ الله بهما عليه.

(١) هو محمد سعيد بن عبد الرحمن البرهاني الصوفي، داغستاني الأصل، حنفي المذهب، شاذلي الطريقة، ماتريدي نقشبندي، اشتُهر بإمامته لجامع التوبة بدمشق، وورَّثه لولده مِن بعده، وساهم في نشر بدعة ما يُعرف بمجالس الصلاة على النبي ﷺ. وقد خالفه العلامة الألباني في طريقته، ولد في دمشق١٣١١ وتوفي فيها سنة ١٣٨٦.

ولما بَلغ نحو الخامسة والعشرين من عمره صار يحضر ندوات علامة الشام الشيخ محمد بهجة البيطار[1] -أعلم تلاميذ العلامة المصلح السلفي جمال الدين القاسمي- مع بعض أساتذة «المَجْمَع العِلْمي» بدمشق.

وتأثر ببعض الأبحاث التي كان ينشرُها العلامةُ محمد رشيد رضا في مجلته «المنار»، وخصوصًا ما يتعلق بعلم الحديث، والتخريج، ونَسَخَ وهو في شَرْخ الشباب كتابَ «المغني» في تخريج أحاديث كتاب «إحياء علوم الدين»، وشرَح غريبَه، وعَلَّق عليه، وانتفَع به، وكان فاتحةَ خيرٍ كبير له، وصار يحدِّث به مَن حَوله مِن إخوته وأصحابه، وحَبَّب اللهُ إليه علمَ الحديث، حتى أَقبَل عليه بِكُلِّيَّتِه، وبدأ يُقيم بعضَ الدروس في حانوته مع بعض أصدقائه.

وكان أبوه يُنكِر عليه اشتغالَه بالحديث قائلاً له: (إنَّ عِلم الحديث صنعةُ المفاليس)[2].

ورَغْم هذا فقد زاد حُبُّ الشيخ لحديث رسول الله ﷺ وتمييز صحيحه من ضعيفه، ورأى أنَّ هذا العلم شِبْهَ مهجورٍ، وهو مجهولٌ عند الآخرين، مع أهميته البالغة، وأنه تَنْبَني عليه أكثرُ الأحكام الشرعية.

ولما كانت مكتبةُ والده العامرة بكُتب المذهب الحنفي لا تُرضي نَهْمَته العلمية، ولم يكن عنده من المال ما يستطيع به شراء الكتب- يَمَّم شَطر «المكتبة الظاهرية» (التي تقع في المدرسة الظاهرية الجوّانية، جوار الجامع الأموي في الجهة الشمالية الغربية، وشرقي العادلية الكبرى باباهما متواجهان يفصل بينهما الطريق)، والتي جمَع فيها العلامةُ طاهر الجزائري سنة ١٢٩٦ بأمرٍ من الوالي مدحت باشا، جمَع مخطوطات خزائن المكتبات الدمشقية العَشْر؛ كالعُمَرية وغيرها، وأُضيف إلى أصلها مثلُها، مع ما احتوت عليه من المطبوعات والكتب النادرة، فوجد الشيخ فيها ضالته المفقودة، وغايته المنشودة.

---

(١) المولود في عام ١٣١١، والمتوفى في سنة ١٣٩٦ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد جمعتُ له (في الأصل) ترجمةً حافلة.

(٢) وقصدُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن طلاب العلوم الدينية في ذلك الوقت كانوا يهتمُّون بدراسة الفقه والقرآن، لأنهم يَحْصُلُون على الوظائف الدينية على أساسها؛ إما إمام جامع أو خطيبًا أو مؤذنًا أو مدرِّسًا، أما علمُ الحديث فلا يأتي بالمال، ولذلك زَهِد فيه كثيرٌ من الناس في ذلك الوقت.

وكان اللهُ قد رزق الشيخَ ناصرًا القناعة في الرزق؛ فأحيانًا يعمل في إصلاح الساعات؛ ساعة أو ساعتين أو ثلاث ساعات ويذهب إلى المكتبة الظاهرية، وأحيانًا كان يعمل يومين متتاليين ويذهب في باقي الأيام إلى المكتبة الظاهرية، حتى قرأ أكثر مخطوطاتها العِلمية، وفَهْرَسَ مخطوطاتِ الحديث فيها، وجَمَع أطراف أحاديثها في معجمٍ كبير.

وكانت هذه المكتبة مِن نِعَم الله الكُبرى عليه؛ إذ كان يجد فيها غالبًا كلَّ كتابٍ لا يَستطيع شراءه، كما كان يستعين أحيانًا ببعض المكتبات التجارية الخاصة، ويَستعيرُ منها بعض الكتب؛ مثل: «مكتبة سليم القصيباتي» رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«المكتبة العربية الهاشمية» لعُبَيد إخوان.

وأصبح الاهتمام بالحديث وعلومِه شُغلَه الشاغل، حتى كان يُغلق محلَّه ويَذهب إلى المكتبة الظاهرية، ويَبقى فيها قريبًا من اثنتي عشرة ساعة، لا يَفْتُرُ عن المطالعة والتعليق والتحقيق إلا أثناء أوقات الصلاة(١).

وكان يتناول طعامَه القليل في المكتبة في كثيرٍ من الأحيان.

حتى إنَّ إدارة المكتبة وافقت على تخصيصِ غرفةٍ خاصَّةٍ للشيخ؛ ليقومَ فيها بأبحاثه العلمية المفيدة.

ووافقَت على منحِهِ نسخةً من مفتاح المكتبة، فكان يَدخل قبل الموظفين صباحًا في بعض الأيام، وهم ينصرفون إلى بيوتهم ظهرًا، ثم لا يعودون، ولكنّ الشيخ يبقى في المكتبة ما شاء الله له البقاء، فربما يصلي العشاء ثم ينصرف(٢).

وكان عنده من الجَلَد والصبر ما يُضرب به المثل.

---

(١) قال الألباني في « السلسلة الضعيفة»: المكتبة الظاهرية؛ التي استفدت منها ما لم يستفده أحد غيري في العصر الحاضر فيما أعلم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة»: لم تكن المراجع والمصادر التي تساعد على التحقيق في معرفة الرجال، وتمييز "الصحيح" و"الضعيف" يومئذ متوفرة، رَغم أنني كنت أعيش في دار الكتب الظاهرية، وملازمًا لها أكثر من موظفيها بعناية الله وفضله، وهي الدار العامرة بمختلف الكتب المطبوعة والمخطوطة، رَغم ذلك كانت تنقصني كثير من المصادر، ولا يزال الأمر كذلك؛ ولو بنسبةٍ أقَلّ.

وبدأَتْ تظهر ثمارُ هذا الجِدّ والاجتهاد؛ فكتب بعضَ الأبحاث، وألّف الكُتب العلمية، ككتاب «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد»، وغيره من المصنفات النافعة الكثيرة.

وشاع ذكرُ الشيخ وفضلُه، واهتمامُه بعلم الحديث النبوي الشريف، فسَمَحت له بعضُ المجلات الدمشقية أنْ يَنْشُرَ أبحاثه فيها؛ كمجلة «التمدّن الإسلامي»، فبدأ بنَشر سلسلةِ مقالاتٍ عن الأحاديث الضعيفة، ثم أتبَعها بمقالاتٍ عن الأحاديث الصحيحة، وما زال أمرُه في ازديادٍ وثبات ورُسوخٍ، حتى أجازَه علامةُ حلَب ومؤرِّخُها «راغب الطبّاخ» بثبَت مرويّاته، واختارَتْه كلية الشريعة في جامعة دمشق ليقومَ بتخريج أحاديث البيوع الخاصة بموسوعة الفقه الإسلامي؛ والتي كانت الكلية قد عزَمت على إصدارها عام ١٩٥٥م.

ثم اختارته «وزارةُ الأوقاف» زمَنَ الوحدة بين سورية ومصر ليكون عضوًا في لجنة الحديث إلى جانب كوكبةٍ من علماء الديار المصرية، واختارته «الجامعة الإسلامية» في المدينة النبوية ليكون مدرِّسَ الحديث وفِقهه فيها، فعمِل هناك ثلاث سنواتٍ متتاليات، والتمس منه جماعةٌ من علماء العالم الإسلامي أنْ يخرِّج لهم أحاديثَ الكتُب التي كانوا يؤلّفونها.

وألقَت إليه دمشقُ بأعِنَّة مِنبر «مسجدِ جامعتها السورية»؛ ليقومَ بالتعليق على خُطبة الخطباء فيه، ولم يكن يخطُبُ فيه إلا علماء البلد، والعلماء الوافدون إليها، وشَهِد له كبارُ العلماء فيها برُسوخه في علمِ الحديث، وصار محدِّثَ الديار الشامية بلا مُدافِع.

ودَفَعَت إليه دمشقُ بأفلاذِ أكبادها، وخيرةِ شبابها، وكبار مثقَّفيها؛ ليَنْهلوا مِن مَعين عِلْمه الثَّر، فأقام فيها الدروسَ العلميَّة الكثيرة، التي شَرَحَ فيها جَمْهَرَةً مِن كُتب التوحيد والحديث والفقه والآداب، وأنشأ هو وأصحابُه «مصلّى العيد» الوحيد بدمشق، والذي صار يرتادُه الآلاف، وأحيا الكثيرَ من السنن المهجورة، وعُرف بالزُّهد والإخلاص والتحقيق، والهمّة.

وطاف على علماء دمشق هو وبعضُ إخوانه من العلماء؛ ليبحثَ معهم العديدَ من المسائل العلمية المتنازَع فيها، ويشرحَ لهم منهجه في الرجوع إلى الكتاب والسنة، وتحقيق التوحيد، ونَبْذ التعصُّب والبِدَع، فمنهم مَن استجاب وتابع، ومنهم من خالَف وعانَد، بل وآذى.

وكان شبابُ الإخوان المسلمين وقادتُهم، هم أكثرُ مَن استجاب لدعوته، وتابعَه عليها.

وكانت له زياراتٌ دوريَّةٌ أسبوعيةٌ إلى قُرى دمشق وريفها، وأخرى شهرية إلى المحافظات الشمالية، كحلب، وإدلب، وحماة وسَلَمية، وحمص، واللاذقية والحِفَّة(1)، والرقة، وكان يذهب إليها أول خميسٍ مِن كل شهر، ويقيم الدروس ويعقِد المناظرات العلمية فيها.

ولَقِي المعارضةَ الشديدة مِن كثيرٍ من المشايخ المتمَذهبين المتعصِّبين، ومشايخِ الصوفية والخرافيين المبتدعين، وخاصةً مِن بني قومه؛ الذين كانوا يثيرون عليه العامَّة والغَوغاء ويُشيعون عنه بأنه: (وهابيٌّ ضال)، ويحذِّرون الناسَ منه.

في الوقت الذي وافقَه على دعوته بعضُ أفاضل العلماء المعروفين في دمشق، وحَضُّوه على الاستمرار قُدُمًا؛ منهم: العلامة الكبير بهجة البيطار، والشيخ عبد الفتاح الإمام، والشيخ توفيق البزرة، والمؤرخ المحقّق محمد أحمد دهمان رحمهم الله، وغيرهم من أهل الفضل.

ولم يَسلم كغيره من العلماء الربانيين من أذى الحاسدين والحاقدين، حتى سُجن مَرَّتين وضَيَّقوا عليه وعلى أصحابه، واعتقلوا بعضَهم، وهاجَرَ آخرون مِن البلد بعد استيلاء «حزب البعث» على السُّلطة.

ولم يكن الألباني ليبالي بكلام الناس ومعارَضة المعارِضين، وما كان يزيده ذلك إلا إصرارًا على التمسك بهذا المنهج الحق، ويوطِّن نفسَه على الصَّبر وتحمُّل الأذى؛ عملاً بوصية لقمان لابنه –فيما ذكره الله عنه في كتابه– بقوله: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ ﴾ الآيات إلى قوله تعالى –حكاية عن لقمان–: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ ﴾ [لقمان: ١٣-١٧].

❁ ❁ ❁

---

(١) وهي مدينةٌ تَتْبع لمحافظة اللاذقية على الساحل السوري، تبعد عنها حوالي ٢٧ كيلاً، وكان يقيم الدروس في بيوت بعض طلابه فيها؛ كالداعية الأديب الشاعر محمد المجذوب في الحِفّة؛ والذي سافر إلى السعودية مدرِّسًا في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

دعوة الشيخ الألباني في الأردن قبل هجرته إليها

في نهاية الستينيات الميلادية، بدأ الشيخُ بزيارة الديار الأردنية بدعوةٍ مِن صديقه وتلميذه الوفيّ الشيخ محمد بن إبراهيم شقرة (المولود في قرية عين كارم قضاء القدس عام ١٩٣٤م، والمتوفى سنة ١٤٣٨- يوافقه ٢٠١٧م)، والذي كان يَعمل مدرِّسًا في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، فلَبَّى الدعوةَ، وأقام عنده ما يزيد على الشهر.

ثم تتابعَت مِن بعدها زيارات الشيخ الألباني إلى الأردن، وكان يقيم الدروس في بيت الشيخ محمد شقرة، والتقى خلالها بثُلَّةٍ مِن الشباب المثقَّف هناك.

وكان قد التقى قبل ذلك في عام ١٩٦٧م بالشيخ الفاضل أحمد محمد السالك الشنقيطي (المولود ١٩٢٨م-والمتوفى ١٤٣١، يوافقه ٢٠١٠م) عندما زاره في دمشق، ونزل عنده في بيته، وبعد زيارة الشيخ ناصر للأردن أصبحَت علاقته به قويّةً جدًّا، وكان يُقيم الدروس -أحيانًا- في بيته أيضًا، ويَبيت عنده، (والسالك: هو أخو زوجة الشيخ محمد شقرة).

وكان لزيارات الألباني أثرٌ كبير في نشر الدعوة السلفية وتوضيحها، ومِن أثَرِ ذلك أنه في مَطْلع السبعينيات زَوَّج ابنتَه الكُبرى أُنَيْسة للأستاذ نظام سَكِّجها في الأردن -ونظام هو صاحب المكتبة الإسلامية (ت١٤٣٠)، وهو تلميذ الشيخ محمد شقرة في المدرسة-، وهو وشقرة والسالك، هؤلاء الثلاثة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ هم أقدَمُ طلاب الشيخ الألباني في الأردن.

وأعقَبَ ذلك مَنْعُ الحكومة السورية للشيخ الألباني من السَّفَر إلى المحافظات الشمالية، وتضييقُهم عليه في دعوته داخل دمشق، فكانت الأجهزةُ الأَمنيّة تستدعيه بين الفَيْنَة والأخرى للتحقيق معه ومساءلته، وتطلُب منه أن يُخَفِّف مِن نشاطه الدعوي، حتى صار يتغيَّبُ أحيانًا عن دروسه التي كان يُلقيها على العشَرات من الشباب، وصار يُلقي الدرسَ نيابة عنه بعضُ كبار طلابه؛ كالشيخ محمد عيد العباسي، والشيخ علي خَشّان.

وكان الشيخُ لا يَذْكر لطلابه ما يجري معه في دهاليز تلك المراكز الظالمة، حتى لا يُسبّب لهم إرجافًا وخوفًا، وكانت السنوات العشرُ الأخيرة التي قضاها الشيخ في دمشق غيرَ مستقرّة؛ أمنيًّا وعِلميًّا.

وكان مِن حُسن صُنع الله به، وهدايته له، أنْ حَوَّلَ زيارتَه الشهرية التي كان يَخُصّ بها بعضَ المحافظات الشمالية من سورية، حَوَّلها إلى الأردن، وكَثُرَت زياراتُه إليها، حتى صار يزورُها في كل شهرٍ مَرَّة، وينزلُ فيها في دار صهره على ابنته نظام سَكَّجْها في عَمان، في «شارع الشابسوغ» وسط البلد، ثم في «حي الجبيهة»، وكانت الجبيهة قليلةَ المنازل وجميلة.

وأصبح يَعقد الدروس في بيت صهره نظام، وكان يُخبَر الناسُ بحضور الشيخ، وأحيانًا يبلُغ خبرُ مجيئه قبل وصوله إلى عمان.

وكان يدرِّس في بعض مراكز «الإخوان المسلمين» في الزرقاء وغيرها[1]، ويقيم المخيَّمات والمناظرات، حتى كَسَبت الدعوةُ بذلك أنصارًا كثيرين، وأرسى قاعدةً جماهيرية نشِطة، وسمعةً طيبة، وصار الطلابُ والعامة يَدعونه لإلقاء الدروس في بيوتهم، ويرَحِّبون به فيها.

وكان عُمُر الشيخ عند ابتداء زياراته إلى الأردن بضعًا وخمسين سنة.

ويرافقه في أغلب سفراته تلك تلميذُه محمد عيد العَبَّاسي، وأحيانًا علي خَشَّان.

وكلما احتاجت السيارةُ لِـمَلْئها من (البنزين) يبادِر الشيخ بدَفْع ثمنه، ويحاول أصحابُه جهدَهم أن يَسبقوه فما كان يَسمح لهم؛ بل يَعزم عليهم ألا يفعلوا، رَغْم حرصهم، ويقول: دَعُوا تكاليفَ السيارة عَلَيَّ لتكون خالصة لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في خدمة دِينه.

(١) وكان أكثر الذين استجابوا لدعوته هم شباب الإخوان المسلمين، تمامًا كما حصل في الشام، ثم بعد ازدياد تأثير الشيخ على أولئك الشباب بدأ القادة يوجِّهون تحذيرات وإنذارات للأعضاء الذين كانوا يتخلَّفون عن الاجتماع الخاص بالجماعة، لتعارُض وقته مع وقت الدرس الذي كان يلقيه الشيخ، لأنه لا يجوز عندهم (ازدواجية الولاء!)، كما يقولون، فلم يستجيبوا لهم، ثم امتنَعوا عن فتح مراكزهم للشيخ.

وكان تلميذُه علي خشان يَبقى في الأردن أحيانًا الأسبوع والأسبوعين والثلاثة؛ يرتّب مع الإخوة فيها أمورَ الدعوة.

وإذا نزل طلابُ الشيخ الأردنيون إلى الشام، كانوا ينزلون في منزل الشيخ علي، وكانت له مساعٍ حميدة، ودَوْرٌ بارز في تيسير تزويج بعض هؤلاء الشباب بالنساء الدمشقيات، وكان أولياؤهم لا يتغالون في المهور، وكان لهذه المصاهرات أثرٌ طيب على توثيق العلاقة بينهم وبين الدماشقة، حتى صار بعضُهم يأتي إلى دمشق، ويحضر دروس الشيخ فيها.

- **الطلاب الأردنيون الأوائل:**

ومِن أولئك الطلاب الذين كانوا يحضرون الدروس الأولى للشيخ الألباني في الأردن في السبعينيات الميلادية غير من تقدم –حسب عِلمي–:

–**عِزّت خضر أبو عبد الله**: (ولد في إربد ١٩٥٠م– توفي ١٤٣٣يوافقه ٢٠١٢م)، التقى بالشيخ الألباني في دمشق في المكتبة الظاهرية عام ١٩٧١م، عندما كان في زيارةٍ لأهل مخطوبته في دمشق، وهي ابنةُ عمته، ومن الطريف أنها هي التي أخذته إلى المكتبة الظاهرية.

–**أحمد عطيّة محمد علي المقدسي**: (المولود سنة ١٩٣٩م، ثم انحرف وصار بهائيًّا).

–**وأخوه محمود عطية**: (المولود سنة ١٩٤٥م)، وقد تزوج ابنة منير الألباني شقيق الشيخ، (وهو أستاذ كيمياء جيولوجيا). وهما من قرية عرب السواحرة، التابعة لقضاء القدس.

–**عبد الفتاح بن محمود عُمَر**: أبو الحارث (المولود في بَلْعا قضاء طولكرم ١٩٥٢م)، تخرّج من المعهد الشرعي التابع للأوقاف، وعمل إمامًا وخطيبًا، ومدرِّسًا في بعض المدارس، وفي «كلية المجتمع» بعمان، وكان من شباب الإخوان، وأول لقاءٍ له بالشيخ الألباني كان سنة ١٩٧١م في دار الإخوان المسلمين بالزرقاء، ثم لزم دروس الشيخ بعد ذلك، وكان هو الذي يتلقى الأسئلة ويلقيها على الشيخ في تلك الدروس التي كان يلقيها في الأردن قبل استقراره فيها، وفي درسَي «رياض الصالحين» الآتي ذكرهما، وكانت الدروس أسئلة وأجوبة، ثم تأثر الشيخُ عبد الفتاح بأفكار حزب التحرير، **وهو يقول**: (كنت معهم، ولم أنتسِب إليهم، ثم تركتُهم)، وهو الذي دلَّ عدنان عياش وسعيد الخطيب –الآتي ذكرهما– على دروس الشيخ.

-**علي سلمان السَّطَري**: وهو مدرّسٌ للشريعة الإسلامية في «كلية القدس»، وإمام وخطيب مسجد «وفيق التلاوي» بأم السَّماق، وله اهتمامٌ بعلم البيئة والطيور، وهو عديلُ عبد الفتاح عمر، فقد تزوّجا بابنتَي الأستاذ فؤاد السادات، أحد أقدم طلاب الألباني في دمشق.

-**عدنان عيَّاش أبو حسام**: (من مواليد طولكرم قرية كفرسابا عام ١٩٤٧م)، وهو أستاذ لغة عربية، وكان خطيبًا لأول «مصلى عيدٍ» في الأردن في ملعب الفوسفات.

- **سعيد بن صالح الخطيب**: الحافظ الجامع المقرئ (المولود سنة ١٩٤١م في قرية قَنِّير قضاء حيفا بفلسطين)، وهو متخرّج من الثانوية الصناعية، ثم حصَّل الشهادة الجامعية في اللغة العربية، وبدأ بالحضور عند الشيخ سنة ١٩٧٣م.

- **أبو سَيِّد محمّد رأفت**: (مولده ١٩٤٨م)، وكان عضوَ مجلس الشورى في الإخوان، فرتب له الشيخُ عبد الفتاح عُمر لقاءً مع الشيخ، فناقشه، ورجع إلى المنهج السلفي.

-إسماعيل شعلان.

- نواف جقيم وأخوه أحمد، -وهما سبعاويان-.

-خليل جبر.

-محمود شلباية.

- خيري الجعبة (أبو وائل).

-وليد لُطفي (كان يعمل نجّارًا).

-محمد عيد حسن أبو أحمد.

-أبو بلال، وأبو أحمد، (ولعله هو نفس السابق)، وكانا مع الإخوان المسلمين، ولم أعرف كيف تعرَّفا على الشيخ، ومما جرى لهما مع الإخوان أنهما كانا يذهبان إلى دمشق لحضور دروس الشيخ ناصر هناك، فأنكر عليهما قادتُهم ذلك، وقالوا لهما: (هذه ازدواجيّةٌ في الولاء!) ثم خيّروهما بين الإخوان وبين الشيخ الألباني، فاختارا الألباني.

وكان يأتي أحيانًا إلى تلك المجالس في بيت نظام الشيخُ أحمد السالك، وكان رجلاً عالمًا ولطيفاً ومتواضعًا، وصاحب خلُق عظيم، ومعه ورَقةٌ فيها أسئلة عديدة، يريد من الشيخ

إجاباتٍ مختصرةً عليها، ليَعرف رأيه فيها دون استفاضة في الجواب، فكان الشيخ يقول له: هذا الوقت مِلْكٌ للإخوة فإنْ أذِنوا لك فلا مانع عندي، فكانوا لا يجدون بُدًّا من الإذن بذلك، فيَعرض أسئلته على الشيخ، فيجيبُه عليها في وقتٍ يسير، ثم ينصرف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكان بعضُ أولئك الطلاب يجتمعون في بيت أحمد عطية في مدَّة غياب الشيخ، وقد اختاروا رجلاً واحدًا مِن كل بلدةٍ مِن بلاد الأردن، وكان الشيخ علي خشان يحضُر معهم مدةَ إقامته في الأردن، فيَتداولون في تلك المجالس ما يُعرَضُ عليهم مِن مسائل الناس.

- **المخيمات والمناظرات التي كان يقيمها الشيخ في الأردن قبل استقراره فيها:**

وكان الشيخ أحيانًا يُقيم مخيماتٍ في بيوتِ بعض الإخوة، فيَنزل فيها هو والشيخ محمد عيد العباسي، وكان ينزل معه فيها عددٌ من الإخوة، وأغلبُهم ممن كانوا يحضرون دروسه في بيت (نظام)، فيُلقي في تلك المخيمات دروسًا علمية، وتتم فيها أحيانًا مناقشات ومناظرات مع بعض المخالفين، ومن ذلك:

-المخيَّمُ الذي أُقيم في «الرُّصَيْفة» في عام ١٩٧٥م، ودام خمسة أيام في دار أحد الإخوة، وجرت مناقشة في ذلك المخيم مع الشيخ يوسف البرقاوي مفتي الزرقاء، كما سيأتي.

-ومخيمٌ في «جرَش»، في مزرعة عبد الرحيم خُدرج، وصَلَّوا الجمعة مع الشيخ في الخلاء.

- مخيم في «البَقعة»، في رُمَيْمِين، وفيها شلالات جميلة.

ومن مناظراته في الأردن قبل استقراره فيها:

- **المناظرة مع الشيخ أحمد الداعور النائب السابق لحزب التحرير في الأردن:**

جرَت هذه المناظرة في الأردن، حيث كان الشيخ الألباني يقيم مخيَّمًا في منطقة (الرصيفة) قُرب عمان؛ فزارهم فيه، وكانوا قد دَعَوه للقاء الشيخ ناصر، فجاء، وكان الشيخ ناصر غائبًا، فرحّب الإخوة به، وحتى يُفيدوا من الزيارة رأى الشيخ العباسي أنْ يبحث معه رأيًا

للحزب في مسألة فقهية؛ هي جواز مصافحة المرأة الأجنبية وتقبيلِها للآتي من سفره أو الخارج من سجنٍ من غير شهوة، أو مسألة الاحتجاج بحديث الآحاد في العقيدة، وتناقَش معه في أدلة الحزب والجواب عنها، ولَـمَس عنده إنصافًا واعتدالًا في البحث.

ثم جاء الشيخ ناصر، وأكمَلَ النقاش الذي انتهى برجوع الشيخ الداعور عن رأي الحزب في مسألة حديث الآحاد، وفرحوا بذلك جدًّا.

ثم جلسوا مَرَّةً أخرى بعدها مع أعضاء القيادة في حزب التحرير؛ فافسدوا ما تَمَّ من قبلُ، ورجعوا عن الاتفاق الذي سَبَق، وغلَبوا الشيخَ الداعور على رأيه.

ولعل هذه الجلسة الثانية كانت في بيت الشيخ الداعور.

وكانت للشيخ الألباني مناظرات مع بعض التكفيريين في عمَّان، وفي «مخيم البَقْعَة»، ومناطق متعددة من الأردن، وقد نَجَح في إعادتهم إلى السنة وتخلِّيهم عن رأيهم، بل وتبنِّيهم منهج السلف، وصاروا مِن خيرة الدعاة، بعدما كان ناقشهم كثيرون وأَخفقوا معهم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

- **مناظرة مع محمد رأفت:**

ومحمد رأفت: كان تكفيريًّا، فهداه الله على يد الشيخ الألباني، ثم صار يأتي بالشباب الذين أقنعَهم سابقًا بالتكفير ليُقنعهم الشيخُ ناصر بالسلفية.

ومحمد رأفت من مواليد ١٩٤٨م، وكان مِن أقطاب الإخوان، حيث قرأ كتاب «الظِّلال» لسيد قطب (١٦مرة)، وكاد أن يحفظه، وكان إذا نقل منه شيئًا مِن حِفظه، ذكَرَ الجزء والصفحة، وفي اليمين هي أو اليسار، ومِن حُبِّه لسيِّد سمى ابنه (سيد)، وكان يُكْنى به.

ومِن شدة نشاطه اختاره مجلس شورى الإخوان ليكون عضوًا من أعضائه، قبل أنْ يَبلغ العشرين من عمره، مع أنهم لا يُدخلون فيه مَن كانت سِنُّه كذلك.

وجاء مرَّةً بدوسيَّة (كراسة) لعُمر عبد الرحمن في أدلة التكفيريين، وكان يستدل فيها بقوله تعالى في سورة يونس ﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ﴾ على أنها مساجد المسلمين.

- **مناظرة مع مروان علّان:**

جرت هذه المناقشة في بيت محمد رأفت، وكان مروان علّان تكفيريًا، وكانت معه دوسيّة (كراسة) فيها أدلة التكفيريين، فجعل يورد تلك الأدلة على الشيخ، والشيخ يزَيِّفها له.

ومما احتج به التكفيريُّ في تلك الجلسة، مَقُولة: (لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار)، فقال له الشيخ ناصر: الجزء الثاني صحيح، ولكنَّ الأول غير صحيح.

وحضر تلك المناقشة عدنان عياش، وإسماعيل شعلان، وأحمد أبو جقيم، وأخوه نواف.

ومِن فِرَاسة الشيخ: أنه سأله في ذلك المجلس رجلٌ تحريري عن حجية خبر الآحاد؟ فقال له الشيخ: عندي رسالة في ذلك فاقرأها، فقال له: قرأتُها ولم أقتنع. فقال له الشيخ: أسألك بالله لو ناقشتُك الآن واقتنعت فهل ستترك رأي الحزب؟ فقال: لا!

- **مناقشة مع الشيخ يوسف البرقاوي مفتي الزرقاء:**

وقد جَرَت هذه المناقشة في المخيم الذي أُقيم في الرصيفة في عام ١٩٧٥م، ودام خمسة أيام في دار أحد الإخوة، وكانوا ينامون ويأكلون ويشربون فيه مع الشيخ، وكان معه تلميذاه محمد عيد عباسي وعلي خشان.

وكان المفتي البرقاوي رجلاً مغرورًا، ويقول للناس: اسألوني قبل أن تفقدوني، فلن تَلْقوا بعدي أحدًا تسألونه.

وقد حضر البرقاوي قبل وصول الشيخ ناصر، فبدأ الشيخ عيد العباسي المناقشةَ معه، فاستدلَّ الشيخ عيد بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ﴾ فوقف البرقاوي، وصرَخ

بأعلى صوته: حتى القرآن تريدون أن تحرِّفوه! وكان يظن صواب القراءة: (ولا تَأمنوا) فقال له الشيخ عيد: بيننا وبينك المصحف، فلما أتينا بالمصحف ورأى الآية فيه على خلاف ما كان يظن أُسقط في يده، وأُحرج إحراجًا شديدًا، ثم قال: والله العظيم سأُوْقِف ما بقي من حياتي لمحاربة السلفيين.

ولما حضر الشيخُ ناصر -وكان قد أخبرهم محمد رأفت أنَّ البرقاوي ينكر على الشيخ الألباني قولَه في إحدى المسائل الفقهية- فقال له البرقاوي: لقد خالفتَ كلَّ علماء الأمة في هذا، فقال له الشيخ ناصر: لو قلتَ لي إنك خالفت الجمهور لوافقتك، وأما جميع العلماء فلا، ثم ناقشه الشيخ ناصر وأورَد له الأدلة على ما ذهَب إليه.

ثم حسُنَت حالُ الشيخ البرقاوي بعدُ، وصار من رجالات الدعوة السلفية ودعاتها في الزرقاء، وانتدبه الشيخُ ابنُ باز للعمل مع وزارة الأوقاف السعودية.

بعد أن ألقَى الشيخُ الألباني على طلابه في دمشق درسَه الأخير في نهاية شهر شعبان ١٤٠٠، وكان قد شَرَع في شرح كتاب الجنائز من كتاب «الترغيب والترهيب»، ووصل إلى الحديث الذي رواه ابن ماجة عن عَمْرو بن حزم عن النبي ﷺ قال: «**ما من مُؤمن يعزِّي أخاهُ بمصيبةٍ إلَّا كَساه اللهُ مِن حُلَل الكرَامة يوم القيامة**»، وتكلَّم عن أحكام التعزية.

وبينما هو يرتب موعدَ دروس شهر رمضان لهذه السنة مع طلابه، وأخبرهم عن ذلك بقوله: (نحن مقبِلون إن شاء الله على شهر رمضان، ونسأل الله عز وجل أن يهيئنا لتلقيه بالطاعة والقيام، ويكون درسُنا عادةً في رمضان بعد صلاة الجمعة، ففي كل يومِ جمعة من جُمَع رمضان سيكون الدرس بعد صلاة الجمعة بنصف ساعة، حتى إذا صلى أحدُنا بعيدًا عن (المقرّ) هنا يتيسر له بأن يُدرِك أول الدرس، وعلى هذا أرى أن يكون الدرس بين الساعة الواحدة والربع والواحدة والنصف، وتكون مدة الدرس ساعةً من الزمن إن شاء الله تعالى)

وبينما كان الشيخ منكبًّا على مشاريعه العلمية، والتي منها: إشرافه على تصحيح تجارب المجلد الثالث من «الصحيحة»، ومنها إشرافه على طبع «صحيح الترغيب والترهيب»، و«ضعيف الترغيب والترهيب».

أقول: بينما كان الشيخ الألباني على هذه الحال من العلم والدعوة إذ ازداد التضييقُ عليه وشَدَّدت الأجهزة الأمنية المراقَبة عليه، على عادتهم الخبيثة في إلجاء العلماء إلى الهجرة.

ورأى الشيخ أنّ البلاد مقبلةٌ على فوضى واضطرابات وصِدَامات، بعد عشر سنوات من استلام النصيرية والبعثيين لمقاليد الحكم في البلاد، والتضييق العام على الإسلاميين فيها، وبدأت طلائع الثورة الإسلامية المسلّحة تظهر، وازداد قمع النظام، واعتقل العديد من النشطاء الإسلاميين.

فقرَّر الشيخُ أنْ يختار ملاذًا آمنًا له ولدعوته؛ يتفرغ فيه لإكمال مشروعه العظيم «**تقريب السنة بين يدي الأمة**»، ويُعيد النظر في مصنّفاته التي خدَمَت هذا المشروع، فرأى أن بلاد الأردن هي الموطن المناسب له، وخصوصًا أن له فيها أهلاً وصهرًا، وطلابًا، ومحبّين، وأنه

كان كسائر مشايخنا الأرناؤوط لا يحبون الخروج من الشام، لما عَلِموه في الكتاب والسنة مِن فضلها وبركتها، وخصوصًا في آخر الزمان.

وإنّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد جعل بحكمته لكل شيء سببًا، ولكل أمرٍ مسمًّى أجلاً، وقدَّر كل شيء تقديرًا حسنًا، وكان من ذلك أنْ هاجر الشيخ الألباني بنفسه وزَوْجه الأستاذة خديجة بنت عبد الغني القادري[1]، وابنتِه منها (هبة الله) من دمشق الشام إلى عمان في أول شهر رمضان سنة (١٤٠٠)؛ رغبةً فيها واختيارًا لها على مَن سواها من البلدان، لما وَجد فيها من السَّعة بعد الضيق، وكان قد بلغ الثامنة والستين من عمره على الحساب الهجري.

ونزل عند صهره على ابنته أنيسة نظام سَكَّجها مدَّةً يسيرة، ثم استأجر بيتًا في حي ماركا الجنوبية بعمان وسكَنَه، وبعد ذلك اشترى أرضًا، وبادَر إلى بناء دارٍ له، في جبل هَمْلان، يأوي إليها ما دام حيًّا، **فيَسَّر اللهُ** له ذلك بمنِّه وفضله، وبمعونة بعض أهل الفضل والكرم من إخوانه، وسكَنها بعد كثيرٍ من التعب والمَرَض الذي أصابه مِن جَرَّاء ما بذل مِن جهدٍ في البناء والتأسيس، وبقي يشكو منه شيئًا قليلاً بعد ذلك.

ولقد كان أمرًا طبيعيًّا أنْ يصرفَه ذلك عما كان اعتاده في دمشق من الانكباب على العلم دراسةً وتدريسًا وتأليفًا وتحقيقًا، لا سيما ومكتبته الخاصة لا تزال في دمشق ولم يتمكن من ترحيلها إلى عمان لصعوباتٍ وعراقيل معروفة.

ولكن عوَّضه الله عن مكتبته –بعض الشيء– بمكتبة الأستاذ أحمد عطية في داره في جبل هملان، ويسَّر له الدخول إليها كلما أراد، فكان يتردد عليها وكأنها مكتبته الخاصة[2]، ويجلس فيها الساعات الطوال مطالعةً وتحقيقًا وتعليقًا، فسَلّاه ذلك كثيرًا عن غربته، وأحسّ أنه يعيش في بلده، وبين أهله وإخوانه.

- **أول كتاب حققه الألباني بعد استقراره في عمّان:**

---

(١) وهي دمشقية، وهي شقيقة تلميذَي الشيخ ناصر؛ د. أيمن، ونزار، (توفيت بدمشق١٤٣٥).

(٢) وأخبرني شقيقه الأستاذ محمود عطية قال: كان عند أحمد مكتبة ضخمة لا نظير لها، ثم قصَّ عليَّ قصة انحراف أخيه أحمد، وكيف صار بهائيًّا، وخبَرَ موته، وأنه لم يصلِّ عليه. وقال: ذكروا لي أنه تاب قبيل موته، فالله أعلم

وكان أوَّلُ عملٍ عِلمي قام به الشيخ الألباني في مُهاجره الجديد (عمَّان): هو استئناف اختصاره لكتاب «الشمائل المحمدية» للإمام الترمذي[1]، مغتنِمًا فرصةَ فراغه وابتعاده عن المكتبة الظاهرية العامرة، وعن مكتبته ومشاريعه التي كان مُنْكَبًّا عليها في دمشق، فاختصَرَه ومَيَّزَ في التعليق عليه بين أحاديثه الصحيحة والضعيفة.

وكان العمل فيه على نوبات متقطعة، لانهماكه في شراء أرضٍ وبناء دار له عليها، وانتهى من اختصاره ٣ ربيع الأول ١٤٠١.

وكان الشيخ يعلّل نفسَه كل يوم ويُمَنّيها بأن المياه عما قريب ستعود إلى مجاريها، ولكن الرياح كثيرًا ما تجري بخِلاف ما يشتهي الملّاح.

- **نزول زوجته القادرية إلى سورية، وزواجه بأم الفضل:**

كان الشيخ الألباني قد تزوّج قبل هجرته إلى الأردن بالأستاذة خديجة بنت عبد الغني القادري، وكانت امرأةً منعَّمةً عند أهلها، ومُدَرِّسة، ومِن عائلةٍ غنيّة، وأنجب منها بنتًا سماها «هبة الله»، ولما عوتبت في زواجها مِن رجلٍ كبير السن ذي عيال؟ قالت: إنما تزوجته لأخدم الشرعَ به[2]، فلم تصبر على تقشُّفِه وزُهده.

ولما سافر الشيخُ إلى الأردن سافرت معه هي وابنتُها، واضطُرّ أن يُسكنها في بيتٍ متواضع كان قد استأجره في أول الأمر؛ فصعُب عليها الحال، وآثرَت أن تبقى في دمشق، فأخَذت ابنتَها وهرَبت بها إلى دمشق دون عِلم الشيخ، وأخذت معها جواز سفرِ الشيخ[3]، فأعلمها الشيخُ أنه سيطلِّقها إنْ لم ترجِع إلى داره، فأبَت، ففارقها فراقًا جميلاً.

ثم تزوَّج بعدها امرأةً فلسطينية تكنَى بأم الفَضْل، واسمها: يُسرى بنت عبد الرحمن

---

(١) وكان قد بدأ به قبل أكثر من عشر سنوات من هذا التاريخ، وبسبب الانتقال من دارٍ إلى أخرى فَقَدَ طرَفًا منه، فضَعُفت همته ولم يتابع العمل.

(٢) وهي التي كانت تريد أن تكتُبَ سيرة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبل أن يكتبها العباسي والخشان.

(٣) لأن الحكومة السورية في ذلك الوقت كانت تشمَل الرجل وزوجته وأولاده الصغار في «جوازٍ» واحد.

عابدين، وكان الزواج في رمضان سنة ١٤٠١- يوافقه ١٩٨١م، وكانت قد بلغت الخمسين، والشيخ قد جاوز الثامنة والستين من عمره، وارتاح إليها، ومات عنها رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

- **نَقْلُ مكتبة من دمشق:**

تم نَقْل مكتبة الشيخ الألباني من دمشق إلى عمان في ظروفٍ صعبة.

وذلك أنه بعد نزول زوجة الشيخ القادرية إلى دمشق ببضعة أشهر، ورَفْضها العودة إلى عمان، ثم طلاقه لها، وزواجه من أخرى، غضبت تلك الزوجة الدمشقية، واتصلت بالشيخ وقالت له: (إما أن تأخذ مكتبتك من هنا، أو سأرميها لك بالشارع!)[1].

فهُرِع أقاربُ الشيخ؛ (عبد اللطيف بن ناصر، وإبراهيم بن ناجي، وشريكه أبو محمد)، إلى بيتِ الشيخ في حي المهاجرين بدمشق، وكان أبو حمدي الجزائرلي قد أحضر لهم (كراتين)، وحِبَالاً و(لزيق)، وأتى بسيارةٍ شاحنة، فأنزَلوا جميع الكتب، وحملوها في السيارة، وذهبوا بها إلى بيت ناجي شقيق الشيخ، ووضعوها في بيته.

وكان الشيخ الألباني كلما احتاج إلى كتابٍ من مكتبته اتصل بأخيه ناجي لأجله، فيقوم هو وابنه بالبحث عنه بين الكتب، واستخراجه له.

وكان شقيقُ الشيخ: محمد ناجي أبو أحمد، يذهب صباحَ كلِّ خميس في القطار من دمشق إلى عمان، ويرجع بعد ظهر الجمعة، وكان يأتي معه في كل مرة بسَكَّيْن (كيسين) من الكتب.

ثم شُحنت المكتبة بعد وفاة أبي أحمد بطَرُودٍ، حتى نُقِلَت جميعُها، إلا بعض الكتب التي فقدَها ولم يدرِ أين ذهبت، ككتابه: «التعليقات الجياد على زاد المعاد»، وغيره.

وكان الذي شحنها إلى عمّان هو الشيخ خير الدين وانلي، بالترتيب مع إبراهيم بن ناجي، وهو الذي بقي في بيت أبيه بعد وفاته، حيث استخرج الشيخ خير الدين ترخيصًا (فسحًا) لإدخال نسخٍ من كتابه «المسجد في الإسلام» إلى الأردن، فجاء بسيارةِ شحنٍ كبيرة لأجل ذلك، ووضعوا جميع كتب الشيخ في صدر الشاحنة، ثم رَصُّوا خلفَها الكراتين التي فيها كتاب الوانلي، وهكذا تم شحن جميع ما بقي مِن مكتبة الشيخ إلى عمان.

---

(١) كذا قالت رحمها الله وغفر لها، وإنما حملها على ذلك الغضب وغيرة النساء، وإلا فهي من أسرة فاضلة.

- **الدرس الوحيد الذي ألقاه الشيخ الألباني في الأردن بعد استقراره فيها:**

وما كاد بعضُ إخوانه في الأردن يَشعرون بأن الشيخ قد استقرَّ في الدار التي بناها في عمان حتى بدؤوا يطلبون منه أنْ يَستأنف إلقاء الدروس التي كان يُلقيها عليهم في السنين الماضية قبل هجرته إلى عمان، حيث كان يسافر إليها في كل شهر أو شهرين فيلقي عليهم درسًا أو درسين في كل سفرة، وألحّوا عليه في الطلب.

وعلى الرغم مِن أنه ما كان عازمًا على شيءٍ من الإلقاء؛ ليوفِّر ما بقي له من نشاطٍ وعُمُرٍ لإتمام بعضِ مشاريعه العلمية الكثيرة- رأى أنه لا بد مِن أنْ يحقق طَلِبتهم ورغبَتهم الطيِّبة، فوعدهم خيرًا، وأعلن لهم أنه سيُلقي عليهم درسًا كل يوم خميس بعد صلاة المغرب في دار أحدِ إخوانه هناك قريبًا من داره، وهي دار أحمد عطية.

وتحقَّق ذلك بإذن الله تعالى، فألقى الدرس الأول ثم الثاني من كتاب «رياض الصالحين» للإمام النووي[1]، وأجابهم بعد الدرس عن بعض أسئلتهم الكثيرة المتوفرة لديهم، والتي ظهر للشيخ من خلالها تعطُّشُهم ورغبتُهم البالغة في العلم ومعرفة السنّة[2].

---

(١) كتاب «رياض الصالحين» طُبع بتحقيق الشيخ ناصر وتعليقاته القيّمة، وكان هذا الدرس من الطبعة الأولى.

(٢) وحضر بعضُ أفرادٍ من «جماعة التبليغ»، وحضره من الدماشقة محمد بن بديع موسى الميداني، ولم يُتِمَّ الشيخ الكتاب، وتم إيقاف الدرس بسبب سعي بعض المشايخ، وتم إخراجه من الأردن، كما سيأتي تفصيله، وكان الشيخ قد شرَع في تدريس هذا الكتاب للطلاب في دمشق قبل ذلك بزمن طويل، ولم يكمله أيضًا بسبب سَعْيِ بعضِ المشايخ به إلى الحكّام هناك، مما أدى إلى سجنه نحو ستة أشهر!

إبعاد الألباني من الأردن إلى سورية[1]

وبعد بضعة أشهر مِن سَكَن الشيخِ الألباني في داره التي بناها في عَمَّان، وبينما كان يستعدّ لإلقاء الدرس الثالث إذا به يفأجأ بما يضطره اضطرارًا لا خيارَ له فيه مطلقًا إلى تركها ومَن فيها من العيال، والرجوع إلى مهاجَره الأول (دمشق)، حيث لم يبقَ له فيها سَكَن[2].

وذلك في أصيل نهار الأربعاء في ١٩ شوال سنة ١٤٠١ هـ، حيث كان أخوه أبو أحمد ناجي في زيارةٍ له بعمان، وبعدما صلَّيَا العصرَ في المسجد، وعند رجوعهما، سبَق الشيخُ ناصرٌ أخاه إلى البيت، وعند وصول ناجي إلى البيت -وقبل أن يدخل- جاءت سيارةٌ لقوات الأمن الأردني ونزل منها بعضُ العناصر، وأخذوا بمَنْكِبه وقالوا له: هل أنت الشيخ ناصر؟ فقال: لا، أنا أخوه، وذاك هو الشيخ، فقالوا للشيخ: تفضل اركب معَنا، فسألهم ناجي: إلى أين ستأخذونه؟ فقالوا له: نريده أن يذهب معنا ساعةً، فجمع الشيخُ بعضَ الأغراض الشخصية على عَجَلٍ، ثم أركبوه في السيارة، ومضَوا به إلى الحدود السورية، وأبعَدوه، وانقطع خبرُه عن أخيه ناجي.

فوصل الشيخُ إلى دمشق ليلاً بعد العشاء، وهو في حالةٍ كئيبة جدًّا، متضرعًا إلى الله تعالى أن يصرف عنه شرَّ القضاء وكيد الأعداء.

فذهب إلى بيت أخيه أبي جعفر منصور، وطلب منه أنْ يتصل ببعض أهل الرأي والفَهم من إخوانه وأصحابه، ومنهم تلميذُه الوفي وصاحبُ مشورته أبو حَمْدي محمود الجزايرلي[3]؛ ليستشيرَهم في أمره وما جرى له، فلما حضروا قَصَّ عليهم القَصَص، وأخبرهم:

---

(١) ولا يُعرف بالضبط ما هو السبب الذي يقف وراء هذا الإبعاد والنفي، وكان الشيخ يظن ببعضهم ولا يجزم. ولعل أصح ما قيل في ذلك هو ما أخبرني به تلميذه عصام هادي، وهو أنه لما ألقَى الشيخ درس «رياض الصالحين»، نتج عن ذلك اجتماع أعدادٍ كبيرة من الشباب السلفيين، مما أثار حفيظة الأجهزة الأمنية، ولأنها لا تَعرف الكثير عن الشيخ ناصر ودعوته، تحفّظ بعضُهم وقرروا أن يقوموا بتسفير الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) لأن زوجته القادرية بعد رجوعها إلى دمشق، وضعت يدَها على البيت الذي كان يسكنه الشيخ بالكامل.

(٣) هو محمود بن حسين بن حمدي الجزايرلي الدمشقي، ولد فيها عام ١٩٤٠م، ودرس الأدب العربي في جامعة بيروت العربية، ثم عمل في الزراعة والتجارة وصناعة النسيج، ورجع إلى دمشق قبيل اندلاع الحرب في لبنان، وأسّس مصنعًا للنسيج، وتتلمذ على يد الشيخ عارف الطرقجي والشيخ سعيد الطنطاوي، ثم لزم دروس الشيخ الألباني، وأصبح من المقرَّبين منه، ومن مرافقيه في أسفاره وحَجّاته، ومن مستشاريه فيما يحتاجه من أمور الدنيا، توفي أبو حمدي سنة ١٤٠٠، يوافقه ٢٠٠٠م، وهو نفس العام الذي توفي فيه شيخُه الألباني.

بأنه بعدما أركبوه في السيارة، توجهوا به إلى المركز الأمني، وأوقفوه عندهم ساعتين، ثم أخبروه بأن هناك قرارٌ بترحيله إلى بلده، فحاول معهم، وأخبرهم أنه بنى دارًا وتزوج امرأة أردنية، فلم يُفِد ذلك شيئًا.

وذهبوا به بعد المغرب إلى الحدود السورية الأردنية القديمة من جهة «الرمثة»، ووضعوه هناك، وقالوا له: اذهب إلى بلدك، فمشى على قدميه حتى وصل إلى المخفر السوري، ولم يكن معه جواز سفر، لأن زوجَته كانت قد أخذته معها عندما نزلت هي وابنتها إلى دمشق، فسأله الجُمْرُك السوري عن ذلك، فأخبرهم بأمرِ زوجته «أم هبة» وما فعَلَته، فأدخلوه إلى البلد على هويته السورية، وأعطوه ورقةً مكتوبٌ فيها: أن يراجع مركز الأمن (٢٥٢) في دمشق خلال ٣ أيام، لأجل أنه لا يحمل جوازَ سفرٍ عند دخوله، وكان هذا هو الإجراء المعتاد.

وبعد دخوله إلى درعا، استقلّ سيارةَ أجرة، أوصلته إلى دمشق.

فنصَحَه أبو حمدي بأن لا يَذهب إلى الفَرع الأمني، وقال له: إن الدخول إلى لبنان الآن أصبح على الهويّة، وهويتك معك، فأنا مستعدٌّ لأن أوصلك بسيارتي الخاصة إلى لبنان.

ثم توجهوا الثلاثة (الشيخ وأبو جعفر وأبو حمدي) إلى بيت أخيه ناجي في «حي جوبر»، فتفاجأ أولادُ أخيه بذلك، فأخبَرهم بما حصَل له، وبعد أن جلس عندهم ساعةً قال لابن أخيه إبراهيم بن ناجي (أبو أنس): إذا رجع أبوك من عمان فأخبره بأنهم أبعدوني، وطمئنه بأنني بخير، وأنا ذاهبٌ الآن إلى «سَقْبا» لأنام عند ابني عبد اللطيف.

وفي اليوم التالي ذهب إبراهيمُ بن ناجي ظُهرًا إلى محطة القطار في «القَدَم» لإحضار والده على العادة، فما إنْ نَزَل أبوه من القطار حتى صاح بابنه قائلاً: عَمَّك عَمَّك! أخَذوه الأمن! فقال له ابنُه: طوِّل بالك، عمي بخير، وهو موجود عند عبد اللطيف، وسيأتي مساءً إلى بيتنا.

وأتى الشيخُ مساء، ومعه أبو جعفر وأبو حمدي وعبدُ اللطيف إلى بيت أخيه ناجي، وتشاوروا فيما بينهم ثانية؛ هل يراجِع الأمن، أم يَخرج إلى لبنان؟ وهل يخرج على هويته أم على هوية أخيه؟ فاتفقوا على أنْ يَخرج على هويته؛ لأنَّ المهلَةَ التي أُمهِلَها لم تنقضِ، واسمُه لم يُعَمَّم بعدُ على الحدود، واجتمع رأيُهم على هذا، ثم ذهب وبات عند ابنه عبد اللطيف الليلة الثانية.

وفي الليلة الثالثة، وبعد الاستشارة والاستخارة سافر هو وأبو حمدي بسيارته باتجاه الحدود اللبنانية السورية، قاصدَين بيروت، مع كثيرٍ من الحذَر والخوف؛ لما هو معروفٌ من كثرة الفتن والهَرَج والمَرج القائم في لبنان، وصعوبة الوصول إلى بيروت، حيث كان محفوفًا بالخطر، ولكن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ سَلَّم ويَسَّر، (وتوجه أخوه ناجي بعدها إلى مكة لأداء مناسك الحج).

فلما وصل الشيخُ وصاحبُه إلى الحدود اللبنانية وكان الجو باردًا، تقدَّم ويداه ترتجفان من البرد، وأعطى الهوية للشُّرطي، فلما رآه الشرطيُّ رَجُلاً مُسِنًّا خَتَم له الأوراق دون أنْ يفتِّشَ عن اسمه، وأما أبو حمدي فأخذوا هويته، و(فيَّشوها) له، ثم ختَموا أوراقَه، وسمحوا لهما بالدخول، فركبا السيارة، وتابعا طريقَهما إلى «الحازمية» ببيروت.

وكان من دعاء الشيخ في هذا الوقت: (اللهم آت نفوسَنا تقواها، وزَكِّها أنت خير مَن زكّاها أنت وليُّها ومولاها، اللهم احفظنا من شر الفتن ما ظهر منها وما بطَن، وإذا أردت بعبادك فتنةً فاقبضنا إليك غير مفتونين، اللهم اكشف عني ما أهمّني، وارفع عن المسلمين جميعًا ما هم فيه من البلاء وتسلُّط الأعداء، إنك سميع مجيب).

وبعد هذا العَناء وصَل الشيخُ إلى بيروت صحبةَ صديقه أبي حمدي في ليلة السبت ٢٢ شوال ١٤٠١، في الثلث الأول من الليل، قاصدًا دار أخٍ له قديم وصديقٍ وَفِيٍّ حميم، وهو الشيخ الفاضل الكريم زهير الشاويش صاحب «المكتب الإسلامي»، فاستقبلَه بلُطفه وأدَبه وكرَمه المعروف، وأنزلَه عنده ضيفًا معزَّزًا مكرَّمًا، جزاه الله خيرًا[1].

---

(١) وذكر لي بعض المحبين أن الشيخ زهيرًا ذهب إلى الحدود اللبنانية لإحضار الشيخ ناصر، وفي طريق عودته تعرضَت سيارتها لإطلاق النار، وكادا أن يُقتلا، **والصحيح**: أن هذه الحادثة جرَت قبل هجرة الشيخ إلى الأردن، وفي أثناء زيارةٍ له إلى بيروت، وقد أرَّخ الشيخُ لهذه الحادثة في مقدِّمة كتابه «غاية المرام»، فقال: (الحرب الأخيرة في لبنان، والتي لا تكاد أنْ تهدأ قليلًا، وتستقرَّ فيها الأحوال، حتى تعودَ إلى نحو ما كانت عليه مِن قبلُ أو أشد، الأمر الذي يجعل أعمالَ الناس ومصالحهم تتعطل أو تتأخر، ولو ظهَر أنها ركَدت بعضَ الشيء، فالخوف مِن عودتها سيطَر على الجميع، والفتنةُ والقتل بدون سببٍ لا يزال مستمرًّا، حتى لقد كِدتُ أن أكون أنا وبعض أهلي من ضحاياها، برصاصاتٍ غادرة أطلقها علينا بعضُ القناصة من بعض البنايات المتهدمة في بيروت بتاريخ ٢ صفر الخير(!) سنة ١٣٩٩هـ أصابت سيارتي في ثلاثة مواضع منها، كادت أن تكون قاتلة، ولكنّ الله سلَّم، فلم نُصَب بأذى في أبداننا مطلقًا، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات).

ومكَث في «بيروت» عند الشيخ زهير (شهرين وثمانية أيام).

وكان قد حَمَل معه مِن دمشق المجلدَ الأول من «صحيح الترغيب والترهيب»، فقدَّمَه للطبع في «بيروت».

- **الكتب التي حقّقها الشيخ الألباني داخل مكتبة الشاويش في «بيروت»:**

فلما استقر في منزله قرارُه، وارتاح من وعثاء السفر بالُه، وهدأت نفسُه، بدأ يستأنفُ -شيئًا فشيئًا- نشاطَه العلميَّ؛ مطالعةً وتأليفًا، وكان من الطبيعي جدًّا أنْ يَهتبل فرصةَ هذه الغربة الطارئة، فيتوجه بكلِّيَّته إلى الدراسة والمطالعة في مكتبة الأستاذ زهير الشاويش العامرة الزاخرة بالكتب المطبوعة منها والمخطوطة النادرة التي تلزمه، وكثيرٌ منها ليس في مكتبته في (دمشق)، فرغب منه أن يُطلعه على فهرست المخطوطات والمصوّرات التي عنده، المسجل على البطاقات، فاستجاب لذلك بكل نفسٍ طيِّبة وأريحيّة إسلاميةٍ منه معروفة، أحسن الله إليه وجزاه خيرًا.

فأخذ في البطاقات نظَرًا وتقليبًا عما يكون فيها من الكنوز بحثًا وتفتيشًا، حتى وقعت عينُه على رسالةٍ للإمام الصنعاني تحت اسم: (رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار).

فدرَسَها دراسةً دقيقة واعية، لأنَّ مؤلِّفَها الإمام الصنعاني رحمه اللهَّ تعالى ردَّ فيها على شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذِه ابن القيم مَيْلَهما إلى القول بفناء النار، بأسلوبٍ علمي رصين دقيق (من غير عصبية مذهبية، ولا متابعةٍ أشعرية ولا معتزلية) كما قال هو نفسه رحمه الله تعالى في آخرها، وقد قضى الشيخ الألباني أكثرَ وقت غربته في «بيروت» بعد نَفيه من عمان إلى دمشق - في تحقيق هذا الكتاب، وانتهى منه في بيروت ٢١ ذي الحجة سنة ١٤٠١ هـ.

وما كاد ينتهي من تحقيق رسالة «رفع الأستار» للعلامة الصنعاني، ووَضْع مقدمتها، وتقديمها إلى المطبعة، حتى بادر الأستاذُ الغيورُ الفاضل زهير الشاويش رَحِمَهُ اللَّهُ، فأطلعه على مجلدٍ لطيفٍ من كنوز مكتبته العامرة؛ فيه مجموعةٌ من الرسائل المتنوعة، يعود تاريخُ إحداها إلى القرن السابع الهجري، بغيةَ دراستها، واختيار ما يكون صالحًا للنشر عاجلًا، فوجد فيها رسالة

بعنوان: «بداية السول في تفضيل الرسول ﷺ»، للإمام الشهير بسُلطان العلماء العز ابن عبد السلام السلمي الشافعي، فانكبَّ على التأمل فيها ودراستها دراسة دقيقة فاحِصة، فوجدها رسالة قيِّمة، نافعة جدًّا للأمة، فاندفع إلى تحقيقها والتقديم لها ونَشْرها.

ولقد كان هدفُه من هذه الحياة -كما كان يصرح بذلك- بعد القيام بما فرَض الله عليه من الواجبات والحقوق، هو تعريف المسلمين -تدريسًا ومحاضرة وتأليفًا- بسيرة النبي ﷺ الصحيحة من جميع نواحيها حسب استطاعته، وحضّهم على أن يتخذوه القدوة الوحيدة لهم[1].

كما قام أيضًا بإعداد الطبعة الثالثة لكتاب «الآيات البينات في عدم سماع الأموات» للعلامة الآلوسي، وكتابة مقدمته، ورَدَّ في المقدمة على رسالةٍ للشيخ محمد عوّامة الحلبي الحنفي، بعنوان: «أثر الحديث الشريف في اختلاف الأئمة الفقهاء رضي الله عنهم».

وانتهى من كتابة مقدمة تحقيق كتاب الآلوسي في بيروت طلوع شمس الأربعاء يوم عرفة سنة ١٤٠١هـ، الموافق ١٠/ ١٩٨١م، وقابلَها بأصلها الذي بخطه، ليلةَ عيد النحر بعد صلاة العشاء من السنة المذكورة، فلله درّه ما أعلى هِمّته.

- **توالي المِحَن على الشيخ، ووفاة أخيه أبي أحمد، وهو في بيروت:**

وفوجئ الألباني في أثناء إقامته في بيروت وعمَله في تلكم الرسائل بخبرٍ أزعجَه جدًّا، وهو وفاة أخيه الكبير محمد ناجي أبو أحمد وهو في موسم الحج، فمضى الشيخ في إتمام أعماله مترحِّمًا على أخيه، صابرًا على مصيبته به، فقد مات وهو خيرُ إخوته، وأخلصُهم له، وأشدّهم استجابةً لدعوته، وغيرةً عليها، وحماسًا في الدعوة إليها، فرحمه الله رحمة واسعة.

وكانت وفاة شقيقه الكبير محمد ناجي أبو أحمد في موسم حج (١٤٠١) على عملٍ صالح -إن شاء الله- في الجمَرات آخر أيام التشريق وهو جالسٌ مع بعض رفاقه الحجّاج، وقد ذكَر

---

(١) ولذلك كان أول كتابٍ حققه واختصره بعد استقراره في الأردن: هو «مختصر الشمائل النبوية» للترمذي، ثم بعد استقراره في بيروت، حقق «بداية السول في تفضيل الرسول» لعز الدين بن عبد السلام، وعندما استقر في الإمارات شرع في اختصار «السيرة النبوية» لابن كثير، كما سيأتي.

بعضُهم أنّ أحدَ الجالسين معه قدَّم إليه بيده اليسرى كأسًا من الشاي، فقال له: يا أخي أعطني بيدك اليمنى ولا تخالف السنَّة أو كما قال، ومات مِن ساعته رَحِمَهُ ٱللَّهُ وحشَرَنا وإياه (مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا).

سفر الشيخ الألباني إلى الإمارات

ثم اضطُرّ الشيخُ بعدَ مُدَّةٍ من الزمن قضاها في بيروت إلى أنْ يهاجرَ إلى «الشارقة» في دولة الإمارات صحبةَ أحدِ إخوانه مِن طلابه المحبين له من أهل السنة والجماعة ، وينزلَ عنده في منزله، وفرح به هو وإخوانه من طلبة العلم هناك، واستقبلوه وآووه، وسَعِدوا بمَقْدَمه عليهم سعادةً عظيمة لا توصَف، فكانت أيامُهم معه أيامَ علمٍ ونُصحٍ وإرشاد وانهماك في العلم والدعوة إلى التوحيد والسنّة.

وذلك أنه بسبب ظروف الحرب التي كانت قائمة في «لبنان»، والاضطرابات الداخلية فيها، وانعدام الأمن، وخوفًا على الشيخ، تم التنسيق مع الأخَوين الفاضلين الكريمين الإماراتيَّين: محمد أمين النَّظَري، وأخيه فريد النظري، وكانا من محبي الشيخ ومِن خاصَّةِ أصحابه في «الإمارات»(١)، فيسَّر الله على أيديهما استخراجَ (زيارة) للشيخ إلى «الإمارات»، وبعد ترتيب الأمور حضَر الأخ محمد أمين النظري إلى بيروت، لأجل ذلك.

وفي ضحوة يوم الاثنين ٢٨ ذي الحجة سنة ١٤٠١ ، انتهى الشيخ من كتابة مقدمة تحقيقه لكتاب «بداية السول»، وسافر في نفس اليوم صحبةَ تلميذه المحب له محمد أمين نظَري.

وفي فجر اليوم التالي اتصل النظري من «الشارقة» مع الشيخ زهير الشاويش، وبَشَّره بالوصول، وأنَّ السَّفَر كان ميسَّرًا.

وكان الأخ أمين قد فرَّغ بيته تمامًا للشيخ ناصر، فأنزلَه في منزِله، وقام هو وأخوه فريد على خدمته مدةَ إقامته في «الإمارات»، وكان عندهما كَرَمٌ زائد عُرِفا به.

وبعد استقرار الشيخ في الإمارات التحقَت به زوجتُه أم الفضل.

---

(١) وكان الشيخ الألباني قد زار الإمارات للدعوة والتعليم عام ١٩٧٩م ، أي قبل هجرته إلى الأردن بسنة، وقد رافقه في هذه السفرة تلميذه العباسي، وسيأتي أنه زارها بعد ذلك بأربع سنوات، وبهذا تكتمل أخبار رحلاته إلى الإمارات.

ووافق ذلك وجود الأستاذ الشيخ محمود عطية في الإمارات، وكان مدرِّسًا فيها، وهو زوج بنت منير الألباني شقيق الشيخ ناصر[1]، فكان هو وزوجته ابنةُ أخي الشيخ لا يكادان يفارقانه.

ومِن طريف ما جرى مع الشيخ في بيت النظري:

أنَّ صاحب البيت قال للشيخ: سأرسل إليكم الغداء اليوم، ولكنْ سأرسله لكم مع الخادم، فبعد أنْ كلمَتْها ابنةُ أخي الشيخ، قالت لعمِّها: إن هذه المرأة نصرانية!

فاتصل الشيخُ بالرجل صاحب البيت، وأغلَظَ له في الكلام ولم يُدارِه، وقال له: أمَا تعرف أنّ النصرانية لا يجوز لها أن تطّلع على عورات المسلمات، ألا تعلم قوله تعالى: ﴿ أَوْ نِسَآئِهِنَّ ﴾؟ فقال للشيخ: أنا اعتمدتُّ على فتاوى بعض العلماء!

- **النشاط العلمي للشيخ الألباني أثناء إقامته في الإمارات:**

لما عَلِم كثيرٌ من محبي الشيخ في الدول الخليجية المجاورة بوصوله إلى الإمارات ونزوله فيها شدُّوا رحالهم إليها؛ لرؤية الشيخ الألباني وأَخْذِ العِلم عنه، والاستفادةِ مِن خبرته في العلم والجهاد في سبيل نصرة السنة.

وكان من طلاب الشيخ في الإمارات في ذلك الوقت غير ابنَي النظري وصهره العطيّة، الأستاذ حسين العوايشة الأردني، ولما التقى بالشيخ في الإمارات أعطاه الشيخ ورقةَ الاستدعاء التي سلَّموها له على الحدود السورية، وقال له: انظر فيها ثم مَزِّقها.

- ومنهم: جُنَيد الخُوْري، وغازي الخوري (وهذه النسبة إلى الخُور في دبي، وهو لسانٌ مائي ممتَدٌّ في الصحراء، يسمونه: الخور)، وهؤلاء هم الذين أنشؤوا «جمعية دار البِرّ» بدبي، وبجانب الجمعية «مسجد إبراهيم الخليل»، الذي كان الشيخ ناصر يُلقي فيه دروسًا.

---

(١) تقدم التعريف به، وبقي مقيمًا فيها ٢٣ سنة، ثم طردوه منها شر طردٍ، بسبب تحامل الصوفية مع الوزير عليه.

وكان الإخوة في «الإمارات»، وعلى رأسهم الشيخ عبد الله السَّبْت (ت١٤٣٣) يطمعون في أن يستخرجوا للشيخ الألباني إقامةً دائمة فيها، فلم يَرغب الشيخُ بذلك، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ بَعيدَ النظر في كثيرٍ من الأمور، وهذا منها.

- **تأليف كتاب «صحيح السيرة النبوية» في الإمارات:**

ولقد كان في منزل الأستاذ محمد أمين النظري مكتبةٌ جيدة، وكان الشيخ الألباني يطالع فيها، ويستفيد مما فيها من الكتب النافعة، وفي أثناء مطالعته فيها وَجَد كتابًا للشيخ محمد أبو زهرة بعنوان: «خاتم النبيين ﷺ» في مجلَّدين، فقلَّب بعضَ الأوراق، وتصفّح كثيرًا من الصفحات، فعزَم على خدمة السيرة النبوية بكتابٍ يقتصر فيه على ما صحَّ من أخبارها.

ولما كان الشيخُ كثير الحفاوة بالسيرة التي ألَّفَها الحافظ ابنُ كثير وجعَلها جزءًا من تاريخه «البداية»- انشرَح صدرُه لتمييز الصحيح من الضعيف منها، وبدأ بتحقيق كتاب السيرة لابن كثير في «الشارقة»، وسمَّى مشروعَه هذا: «صحيح السيرة النبوية»، واستدرَك فيه العديد من الاستدراكات المهمة، ولم يتمّه، فقد وصل فيه إلى حادثة الإسراء والمعراج، وأحال على مصنَّفٍ له مفرَدٍ فيها، وكاد الشيخُ أنْ يستوفيَ المرحلة المكّيّة من السيرة النبوية.

- **من مجالس الشيخ في الإمارات:**

دُعي الشيخ إلى غداءٍ عند بعض المحبِّين في الله في (أبو ظبي) يوم الجمعة ٩ محرم سنة ١٤٠٢ هـ، وكان في المجلس شابٌّ يمانيّ سلَفي يُدعى بـ(عبد الماجد)، فسأل أحدُ الحاضرين: هل (الماجد) من أسماء الله تعالى؟ فقال له الشيخ: لا أعلمُه إلا في روايةِ الترمذي للحديث الصحيح المتفَق عليه عن أبي هريرة:

«**إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مئة إلا واحدًا، مَن أحصاها دخل الجنة**»، فزاد الترمذي فيه سَرْدَ الأسماء، وفيها هذا الاسم (الماجد) ! لكنّ العلماء ضعّفوا هذه الزيادة.

فذكر أحدُ الحاضرين أنه رأى هذا الاسم في حديثٍ آخر في «مختصر تفسير ابن كثير» للشيخ الصابوني، فطَلَبَه الشيخ، فرآه قد ساقه محذوف السنَد كعادته، غير مشيرٍ إلى ضعفه.

- **زيارة قطر والكويت:**

ولقد يسَّر الله للشيخ إبَّان إقامته في «الإمارات»، أنْ يسافر إلى الدول المجاورة، كـ«الكويت»، وذلك في شتاء عام ١٤٠٢، حيث ألقى فيها عدة محاضرات وندوات.

كما زار «دولة قطر» في أوائل ربيع الأول سنة ١٤٠١، وأُنزل في شقة هناك على البحر، حيث التقى في قطَر بالشيخ يوسف القرضاوي، والشيخ محمد الغزالي الذي بعث له برسالةٍ **قبل لقائه** يواسيه فيها قائلاً:

(بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الكريم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نَذْكُركم على البعد فنَذْكر الرقابةَ الدقيقة على السنّة المطهرة، والغيرةَ المحمودة على معالم الإسلام الحنيف، والجهادَ العلمي الموصول في ميدانٍ قلّ فيه الرجال، واحتاجَ إلى أولي النجدة والنضال.

فجزاكم الله عن دينه خير الجزاء، **وآنَسَكُمْ في هجراتكم المتابعة من قُطرٍ إلى قطر**، وأنت خبيرٌ بأنّ أنصارَ الله في هذا العصر لا يستقرُّون على حال، وأنهم عُرضة للمتاعب الثقال.

أكتبُ إليكم من «قَطَر»، ما زلت أستاذًا زائرًا في جامعتها ونزيلاً في الفندق الذي شرفتُ بجواركم فيه أيَّامًا.

والله المسئول أن يوفقنا إلى الدفاع عن دينه، ونَفْع المسلمين برسالتهم الجليلة، وأبعث إليكم بمشاعر التقدير والوُدّ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد الغزالي)

والتقى الشيخ في (قطَر) ببعض الأساتذة والدكاترة الطيبين، فأهدى إليه أحدُهم رسالةً له مطبوعة في تضعيف الحديث الذي صححه الشيخ في « الصحيحة»، وهو قوله ﷺ: «**يا أيها الناس! إني قد تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتابَ الله وعترتي أهل بيتي**».

كما التقى في الدوحة بالشيخ العلامة عبد الله بن إبراهيم الأنصاري (ت١٤١٠)، وجرَى بينهما حوارٌ حول «تفسير ابن عطية»، وأخبره الشيخُ عبد الله بأنه يقوم بطبعه طبعة جديدة.

كما طلب الشيخ الألباني في أثناء إقامته في قطر أن يرتَّب له لقاءٌ مع رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية فيها الشيخ الفاضل عبدالله بن زيد المحمود (ت ١٤١٧)، ليناقشه حول رأيه في (المهدي)، ويقنعه بصحة الأحاديث الواردة في شأن المهدي، وكان الشيخ ابن محمود قد ألف كتابًا بعنوان: «لا مهدي يُنتظر بعد الرسول محمد ﷺ خير البشر».

وتم اللقاء بينهما في بيت الشيخ المحمود بحضور الشيخ القرضاوي والشيخ الغزالي، والشيخ عبد الله الأنصاري، وانتهى المجلس، ولم يقتنع الشيخ المحمود، وبقي مُصِرًّا على رأيه.

ووافقت زيارةُ الشيخ الألباني هذه إلى قطر وجود تلميذه الشيخ علي خشان فيها، والتقى فيها بعدد من علماء قطر وأعيانها، كالشيخ القاضي أحمد بن حجر آل بوطامي (١٤٢٣) مفتي قطر وعالمها.

ومن لقاءاته القطَرية الطيبة: لقاؤه مع الشيخ القاضي عبد القادر بن محمد العَمَّاري، ودار بينهما نقاش حول رأي الشيخ الألباني في «الذهَب المحَلَّق».

كما دعي لحضور العديد من المناسبات، كمناسبات العقيقة وغيرها، من عدد من المدرسين والأفاضل فيها.

عودة العلامة الألباني من الإمارات إلى الأردن

بعد أنْ بَلَغ خبرُ نَفْيِ الشيخ ناصر من الأردن إلى طلابه ومحبيه فيها، ووقَع على مسامعهم وَقْع الصاعقة، بدأ بعضُهم بالسعي الحثيث الجاد، للتوسُّط عند من يعرفونه مِن أصحاب السلطة والنفوذ في البلد لإرجاع الشيخ.

وكان في مقدِّمة أولئك الصِّحاب الأوفياء والتلاميذ النجباء، الشيخ الأديب الوجيه أبو مالك محمد بن إبراهيم شَقْرة، مدير شؤون المسجد الأقصى بوزارة الأوقاف، وإمام وخطيب «مسجد صلاح الدين» في عمّان، فسعى في ذلك واجتهد(١)، حتى وفقه الله إلى مقابلة الملك حسين؛ ملك الأردن، فأمر الملك بإعادة الشيخ إلى الأردن.

وذلك أنه في إبّان نجاح «الثورة الخمينية» واستلامها مقاليد الحكم في إيران في أواخر السبعينيات، ورَفْعها لشعاراتٍ إسلامية، وتأثُّر بعض الجماعات الإسلامية في المنطقة العرَبية بذلك، ثم اندلاع الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠م) - رغب ملكُ الأردن في أنْ يتعرَّف على أمر الشيعة وعقيدتهم وثورتهم، وأنْ يَستوضح ذلك ممن له شَأْنٌ وعناية بهذا الأمر.

فطلب مِن وزير الأوقاف أنْ ينتدب له شخصًا يَضْطَلع بهذه المهمة، وأن يقابل الملك ويشرحَ له هذا الأمر، وكان الشيخ محمد بن إبراهيم شقرة موظَّفًا في وزارة الأوقاف في ذلك الوقت، وكان على علاقةٍ جيدة بالوزير، وكان الشيخ شقرة قد تصدى لأمر الشيعة في خُطَبه ودروسه ومقالاته، وكان يحذِّر الناس من هذه الثورة، ويقول لهم: إنه لا خيرَ فيها للقدس وفلسطين، واشتُهر ذلك عنه، فرأى الوزيرُ أن الشيخ شقرة هو الرجل الأنسَب لهذه المهمة،

---

(١) ومن ذلك أنه اقترَح على بعض إخوانه من طلاب الشيخ أنْ يُرسلوا مجموعةً من كتب الألباني إلى الملك وإلى بعض الوزراء والمسؤولين الكبار في الدولة، ليعرِّفوهم بعلم الشيخ وفضله، وأنه يخدُم سنّةَ النبي ﷺ، وليس له تدخلات في السياسة، فجمعوا ثلاث مجموعات من الكتب ووضعوها في كراتين، وكتبوا عليها إهداءات إلى مَن أرسلوها إليهم، وكان الذي كتب تلك الإهداءات بخطه الجميل المتقَن هو الشيخ محمد بن بديع موسى، أبو اليمان الدمشقي وفقه الله.

فكلَّمه في ذلك، وأخبره بأن الملك الحُسين يريد أنْ يَعرف تفاصيل أكثر عن الشيعة وثورتهم، وأنه وقَع الاختيار عليه لأجل ذلك.

وكان الشيخ شقرة قبل ذلك قد كلَّم جماعةً من المسؤولين بشأن إعادة الشيخ الألباني إلى الأردن، ومنهم رئيس الديوان الملكي الأستاذ أحمد اللَّوزي، ووعدَه خيرًا.

ولما حان موعدُ اللقاء المرتقَب للشيخ شقرة مع الملك، ووصَل الشيخُ إلى الديوان، أسرَّ اللوزي إليه بأن يكلِّم جلالة الملك بموضوع الشيخ ناصر.

وفعلاً لما تم اللقاء مع الملك، والذي حضره جماعة من الوزراء والمدَراء وأكابرُ الدولة، وشَرَح الشيخُ للملك موضوعَ الشيعة، وبَيَّن له أمرَهم بيانًا شافيًا، وسُرَّ الملكُ بكلام الشيخ وبيانه، قال له الملكُ في آخر الجلسة: هل لك مِن طلَبٍ نلَبِّيه لك، أو حاجةٍ نقضيها لك؟ فذكر له أمْرَ الشيخ الألباني ودعوتَه، وما تعرَّض له، وبَيَّن له رغبتَه في أنْ يُعاد الشيخ إلى الأردن، فما كان من الملك إلا أنْ أمَر بإعادة الشيخ الألباني فورًا إلى الأردن، **وهذه حسنةٌ لهذا الملك الهاشمي، نرجو له عند الله ثوابَها وأجرَها.**

وفورَ انتهاء لقاء الشيخ شقرة مع الملك، عادَ إلى بيته وقد امتلأ صدرُه فرحًا وسرورًا بما أجراه الله على يديه من الخير، فاتصل مِن فَوْره بصهر الشيخ ناصر في عمان نظام سكَّجها، وأخبرَه بالخَبَر، فما كان من نظام إلا أنْ اتصَل بالشيخ الألباني مبشِّرًا له، وكان لحظةَ وصول الخبر إليه في درسٍ علميٍّ، فطلَب منه نظامٌ أنْ يتهيَّأ للعودة إلى داره في الأردن عزيزًا كريمًا.

فقَدِم الشيخ (من الإمارات إلى عَمّان) بالطائرة، بعد أن رُتِّب له أمرَ الدخول إليها، ودخلَها دخولاً طبيعيًّا عاديًّا.

وبعد عِدَّة أيامٍ مِن استقرار الشيخ في بيته بعمان، تم ترتيبُ لقاءٍ للشيخ الألباني مع ضابطين كبيرين، واستفصلوا منه عن بعض ماجَرَيات الأحداث التي جَرَت معه، وتم ترتيب أمرِ مكوثه في الأردن، وأبلَغوه بأنه يُمنَع من التدريس في المساجد، ومِن جَمْع الشباب، وتدريسِهم في البيوت أيضًا، وأن لا يَستقبل في بيته إلا عددًا محدودًا من الزائرين، ولأجل ذلك عَلَّق الشيخُ على بابه لوحةً مكتوبٌ عليها: (نعتذر عن استقبال أكثر من شخصين)،

فهي فُرضت عليه، وليست مِن شِيمته ولا من أخلاقه، وكان قد خَصص ساعةً في اليوم للإجابة على أسئلة المستفتين على الهاتف.

ثم شَفَع له تلميذُه محمد شقرة مرّةً أخرى عند بعض المسؤولين، بأن يُرفع الحَجْرُ عنه، وأن يُسمَح له بالتدريس والدعوة، حتى يستفيدَ الناس وأهلُ البلد مِن علمه، فأذِنوا له فقط بأنْ يجيب الدعَوات إلى الولائم والحفلات ونحوها، ويجيب على أسئلة الناس الحاضرين فيها، ثم حصَلَت له انفراجةٌ يسيرة في هذا قُبَيل وفاته، وحاول بعضُهم أيضًا أن يَسْعَوا مَرَّةً أخرى في تسفيره من البلد، ولم يتم لهم ذلك ولله الحمد.

وكانت عودةُ الشيخ من الإمارات إلى الأردن في جمادى الأولى عام ١٤٠٢، وبقي مقيمًا في عَمّان، حتى وفاته سنة ١٤٢٠، ودُفن فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكان أولُ عملٍ عِلمي له بعد عودته هو تلخيص كتابه: «أحكام الجنائز»، وانتهى منه في ١٣ جمادى الآخرة ١٤٠٢.

ثم مقابلة «مختصر الشمائل» بالأصل، وتصحيحه عليه، وإعداده للطبع، وذلك في ٢٣ رجب ١٤٠٢ ، وكانت كتابة مقدمته في ١٣ شعبان ١٤٠٢.

موقف الشيخ الألباني من فتنة الخميني الرافضي

وهذا أيضًا يدلُّ على فطنته وفراسته واحترازه، وذلك أنه لما قامت ثورة الخميني اغترَّ بها أكثرُ المسلمين في العالم الإسلامي، بل كثيرٌ من الجماعات الإسلامية، التي تدَّعي الوعي والنظرَ البعيد وفقهَ الواقع.

بينما كان موقفُ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تجاه هذه الثورة مِن أوَّل ظهورها مَوْقِفًا واعيًا وحَذِرًا ومتحسِّبًا لها، وانطلَق من التأصيل العلمي لحقيقة الرافضة الشيعة، وما اغترَّ بالمظاهر الخارجية؛ كاللِّحى والحجاب ونحوها.

بينما كنتَ ترى الجماعات الإسلامية في الأردن وغيره مثلاً؛ كجماعة الإخوان ألهبُوا الشارع بالخُطَب والمظاهرات تأييدًا لإيران، بل ذهب بعضُهم لأجل مبايعته.

لكنّ الشيخ الألباني لم يتسرَّع، وقال: لابُدّ أنْ نتحقَّق وننظرَ في ما عند الرجل.

يقول الشيخ عيد العباسي: فَنَزَلْتُ مَرَّةً إلى مكتبةٍ في دمشق ورأيتُ هناك كتاب «الحكومة الإسلامية» للخميني، فأخذتُ نسختين: نسخةً لي ونسخة للشيخ، وأطْلعته على بعضِ ما كتَب، فتبيَّن لنا أنَّ الرجل في حضيضِ الشرك!! فوجدناه يقول فيه: (ومن مقتضيات مذهبنا: أنّ أئمتنا وصَلوا -وفاطمة معهم- إلى درجةٍ لم يَبلغْها ملكٌ مقرَّب ولا نبي مرسَل).

ويقول: (إنه لا تتحرك ذرَّةٌ في الكون ولا تَسكُن إلا بإذنٍ من الأئمة)، وغير ذلك من الكُفر الصراح، مع أنه كان في أول الأمر يتظاهر بالتسامح وأن المسلمين إخوة!!

فتبين أن الشيخ يَفْقَه الواقع جيِّدًا، وأنَّ مَن يتهمونه بأنه لا يفقه الواقع هم المخطؤون.

افتراءات الوزير الخزرجي على الشيخ الألباني

أصدر وزير الأوقاف في بعض الإمارات العربية- ولعله صوفي، أو حوله بطانة صوفية[1] مذكّرةً نُشِر مضمونها في أوائل شوال سنة (١٤٠٦) في بعض الجرائد؛ كـ«البيان» وغيرها، يتّهم فيها إخواننا السلفيين في تلك الِإمارة بتُهم شتى، منها (التطرف)! والخطورة على العقيدة الِإسلامية! وإنكار المذاهب الأربعة!

وكلّ ذلك كذبٌ وزورٌ، الهدفُ منه ظاهرٌ لكل ذي بصيرةٍ في الدين، وهو التمهيد وتهيئة الجوّ لمنعهم من الدعوة إلى الله، وتبصير الناس بدينهم على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ومنهج السلف الصالح، ومنهم الأئمة الأربعة رضي الله عنهم أجمعين.

ولم تكتفِ المذكِّرةُ بهذه التُّهَم، بل أضافت إلى ذلك تهمًا أخرى، تتعلق بشخص الشيخ الألباني، هي أظهر بُطلانًا من سابقاتها، فقالت:

(ويتزعمها شخصٌ يُدعى ناصر الدين الألباني)

(١) وهو الوزير أحمد محمد حسن الخزرجي، وهو صوفي هالك ومتشيع، كما أخبرني بذلك الشيخ محمود عطية.

وقد ردّ عليها الشيخ الألباني بقوله: فهذا كذبٌ وزور، يَشهد به كلُّ مَن يعرفني شخصيًّا، فإنَّ انكبابي على التأليف والتحقيق أكثر من نصف قرن من الزمان يحول بيني وبين التزعّم المزعوم، هذا لو كانت نفسي تميلُ إليه، فكيف وهو منافٍ لطبيعتي العلمية؟

- وأوضَحُ ما في المذكّرة مِن الافتراء، قولُها عقب الزعم السابق:

(كما جرى طردهُ من الإِمارات قبل أربع سنوات، ومنعه من العودة للبلاد)!

قال الألباني: وهذا كذبٌ له قُرونٌ كما يُقال في بعض اللغات؛ فإنه لم يكن شيء من ذلك ألبتة - والحمد لله-، وليس أدَلَّ على ذلك من أنني عُدتُ إليها بتاريخ ٢٩/ ٣/ ١٩٨٥ بإذنِ دخولٍ رسمي رقم ٦٠٩٤/ أ، ثم خرجت كذلك بتاريخ ٥/ ٤/ ١٩٨٥ كما هو مسجل في جواز سفري رقم ٢٨٤٠٢٤ س ر/ ٧٧.

ثم إنني أرى أن هذا الخبرَ الكاذبَ الذي صدر من شخصٍ مسؤول هناك، لا يمسّني أنا شخصيًّا فقط، بل ويمسّ الدولة التي هو وزير فيها، إذ لا يعقل أن يوافق حُكّامها- وهم مسلمون مثلي- على الطرد المزعوم، لا لسببٍ يُذكر سوى أنني أقول: (رَبِّي الله)، وأدعو إليه، وهو القائل: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾، في الوقت الذي يُسمح فيه للكفّار بالدخول إلى البلاد على اخْتِلاف أديانهم وغاياتهم؟!

اللهمّ فإنّي إليك أشكو غربة الإِسلام وأهله، اللهمّ فأَعِزَّ المسلمين، وأَذِلَّ الكافرين والمنافقين.

- ثم إنَّ مِن [فِرَى] تلك المذكّرة قولها:

(إن هذه الجماعة تنكر المذاهب الأربعة)!

قال الألباني: هذا كذبٌ وزورٌ، فنحن نُقَدِّرُ الأئمةَ الأربعةَ- وكذا غيرهم- حقَّ قدرهم، ولا نستغني عن الاستفادة مِن علمهم، والاعتماد علِى فقههم، دون تعصُّبٍ لواحد منهم على

الآخرين، وذلك ممّا بَيّنته بيانًا شافيًا منذ أكثر من ثلاثين سنة في مقدمة كتابي: «صفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها»، فإليها أُحِيلُ مَن كان يريدُ التأكّد من كذب هذه الفرية.

- وإنّ مِن أفرى الفِرى قولَها عَطفًا على ما سبق:

(وتُشَكّك بسنة رسول الله ﷺ عن طريق تكذيب أحاديث (!) الصحاح المعتمدة، والتشكيك بصحة بعض الأحاديث النبوية الأخرى)!

قال الألباني: ﴿سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ﴾ و ﴿إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾، واعتداءٌ جسيم على مسلمٍ نَذَر نفسَه ووقته وجهدَه لخدمة السنة والدفاع عنها والردِّ على مخالفيها، وتمييز صحيحها من ضعيفها، وقضى في ذلك أكثرَ مِن نصف قرنٍ من الزمان، لا يَكَلّ ولا يَمَلّ، والحمد لله.

وله في ذلك المؤلَّفات الكثيرة التي يشهد بفائدتها وأهميتها كبارُ العلماءِ والأدباءِ، وينتفع بها الملايينُ من طُلاَّب العلم في كل البلاد الإسلامية وغيرها، وقد أُعيدَ طبعُ الكثير منها، وبعضها يُنْبئ عن ذلك صريحُ اسمها، مثل «دفاع عن الحديث النبوي» و«منزلة السنة في الإسلام، وأنه لا يُستغنى عنها بالقرآن»، و«الذَّبُّ الأحمد عن مسند الإمام أحمد»، وهو في الردّ على مَن نفى صحة نسبة «المسند» للإمام أحمد، وغيرها كثير مما هو مطبوعٌ معروفٌ، وقد جمع أسماءَ الكثير منها بعضُ المُحِبين في كتبٍ ورسائلَ، وقفتُ وأنا أكتبُ هذه المقدمة على واحدةٍ منها مطبوعة بعنوان: «سُلَّم الأماني في الوصول إلى فقه الألباني».

وفي اعتقادي أن تلك المذكِّرة الجائرة، تُشير بهذه الفرية الباطلة إلى جهودنا المستمرّة في خدمة السنّة المطهَّرة التي منها بيانُ الأحاديث الضعيفة والموضوعة، الدائرة على ألسنة كثير من الخطباء والمحاضِرين والمدرِّسين وغيرهم من خاصّة المسلمين وعامّتهم، متوهّمين أنها أحاديثُ صحيحةٌ، وهي عند أهل العلم ضعيفةٌ أو موضوعة، فيتهمهم الجُهّال بأنهم يُكَذّبون بالأحاديث الصحيحة، والله المستعان.

- **وفي ختام هذا الردّ:**

لا بُد لي من أن أُذَكِّر صاحب تلك المذكرة وبطانتَه إن كانوا مؤمنين بقول رب العالمين:

﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾ وبقوله ﷺ الثابت عنه- وهم لا يُكَذِّبُونَ بالأحاديث الصحيحة إن شاء الله! -: «**مَن قال في مؤمنٍ ما ليس فيه أسكنه الله رَدْغَة الخَبال حتى يخرج مما قال، وليس بخارج**». (الصحيحة ٤٣٨ والإرواء٢٣١٨) ، و (ردغة الخَبال) جاء تفسيرها في حديث آخر أنها: عُصَارة أهل النار. نسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة.

هذا وقد أجرَت «جريدة الشرق الأوسط» لقاءً مع الشيخ الألباني حول الافتراءات التي أشيعت عليه في بعض جرائد الإمارات العربية على لسان وزير الأوقاف الخزرجي.

مرض الشيخ الألباني ووفاته

بعد أنْ بلَغ الشيخُ الألباني الخامسةَ والثمانين من عمره، وكان قد قضى منها:

سبعَ سنين تقريبًا في «ألبانيا».

وستين سنة تقريبًا في «دمشق»، تخلّلتها السنوات الثلاث التي قضاها في «المدينة النبوية».

وعشرين سنة تقريبًا في «الأردن»، تخللتها ثمانية أشهر تقريبًا (مدة إبعاده عنها).

وبعد هذا العمر المديد الذي قضاه في خدمة حديث رسول الله ﷺ(١)، كَبِرت سِنُّ الشيخ، وبدأ يخِفّ نشاطه، فوضَع له أهلُه سريرَه في المكتبة، وأحضروا له الكتب التي كان يعمل فيها في آخر عُمره، كتهذيب «صحيح الجامع وضعيفه»، وكان يعدِّل فيه، وأكثرُ اعتمادِه في ذلك على مؤلفاته.

وكان يعتمد في ذلك على حفيده عُبادة، ويطلب منه الكتابة على الكتاب.

وكان يخدِمه في السنوات الثلاث الأخيرة من عمره، وبعد أن مَرِض الشيخ مرَض الشيخوخة- ابنُه البار أبو عُبادة عبد اللطيف.

---

(١) كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصف نفسه في بعض مقدمات كتبه بـ«خادم السنة المطهرة»، كما في كتابه الأجوبة النافعة، وقد كتبها سنة ١٣٧٠، يوافقه ١٩٥١م.

وأصبح الشيخ يتردد على «مستشفى الشميساني» بعمّان، فيمكث فيه مرة أسبوعًا ومرة خمسة عشر يومًا، حتى اشتدَّ به المرض وكانت وفاته في هذا المستشفى[٢].

وقد أشاع بعضُ الناس أنَّ الشيخ قد أصابَه فَقْدُ ذاكرة، فجاء بعضُ الأشخاص وسألوه وهو على فراش المرض، فكان يجيبهم بأجوبةٍ بالتفصيل، وكأنَّ هؤلاء الأشخاص جاؤوا ليتأكدوا من هذه الملاحظة، فتبين لهم أنَّ هذا إنما هو كلامٌ لا أصلَ له.

وكان قُبيل وفاته يَطلُب من أولاده بعض الكتب، ككتاب «الجرح والتعديل».

قال حفيده عبادة بن عبد اللطيف: كان جدي يقول لنا: أين الجرح؟ فيقول له بعض من حضر: ما فيك جُرح، فأتفطَّن أنا لذلك وأقوم فأحضر له كتابَ «الجرح والتعديل»، وأحيانًا يقول: أين العلل؟ فيقولون: ما فيك عِلة، فأُحضر له كتاب «العِلل».

قال: وسألته مرة عن مسألةٍ كنت قد سألته عنها منذ سنوات لأتأكد من ذاكرته، فأجابني بنفس الجواب.

وكانت أكثرُ كُتبه قريبةً منه، وكان في آخر أيامِ حياته يشتغل ببعض مؤلفاته كـ«إرواء الغليل»، و«صحيح الجامع»، وتوفي وهو يهذِّبه.

- **الأسبوع الأخير:**

أُدخل الشيخ في الأسبوع الأخير إلى العناية المركَّزة، ومُنِعَ الناسُ من الدخول عليه.

وكان أبناؤه وزوجتُه يتناوبون الجلوسَ عنده، وقد حضَر عنده منهم: (عبد اللطيف وابنه عبادة، وابن الشيخ الأكبر عبد الرحمن، وأخته أم عبد الله، وزوجة الشيخ أم الفضل)

ودخَل الشيخُ في اليوم الأخير في شبه غيبوبة.

وآخرُ من زار الشيخ من أهل العلم قبل وفاته هو أبو مالك محمد شقرة.

---

(٢) وهو المستشفى القريب من حديقة الطيور، وهو غير التخصصي، وإن كانا جميعًا في حي الشميساني.

وكانت الزيارةُ محصورةً، وكان يأتي ناسٌ كثيرون ولا يُسمح لهم بالدخول.

وكانت وفاته بعد عصر يوم السبت ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٢٠، يوافقه ٢/ ١٠/ ١٩٩٩م، ومولده حسب البطاقة الرسمية (١٩١٤م)، وقد بلغ الثامنة والثمانين على حساب السنين الهجرية.

ثم نُقل إلى بيته، وفوجئ أهلُه عندما ذهبوا إلى البيت بأنهم وجدوا الطريق مغلقًا من كثرة الناس المجتمِعين عند البيت.

وغُسِّل الشيخُ الألباني وكُفّن في بيته، وقد تولى غسله أبو عبد الله عزت خضر، وشاركه محمد أبو ليلى، ولم يشترك ابنُه عبد اللطيف في التغسيل.

وأمَّ المصلين عليه الشيخُ أبو مالك محمد شقرة.

وكانت الصلاة في مصلى قريبٍ مِن مقبرة هملان التي دُفن فيها في جنوب العاصمة عمان.

وأنزله في قبره وتولى دفنَه أبو عبد الله عزَّت خضر، وأبو ليلى، ومحمد بن بديع موسى، وشخصٌ رابع، أخبروني بأنه عبادة بن عبد اللطيف.

- **وممن توفي في هذه السنة (١٤٢٠) من الأعلام:**

عبد العزيز بن باز (السعودية)، علي الطنطاوي (سورية)، أبو الحسن الندوي (الهند)، سيّد سابق (مصر)، صلاح الدين كبّارة شيخ قراء (لبنان)، عطيّة محمد سالم (مصر)، مصطفى الزرقا (سورية)، منّاع القطان (مصر)، محمد المجذوب (سورية)، صالح بن غصون (السعودية) قبل دخولها ب ١٣ يومًا، عمر بن محمد فلاتة (إفريقيا) قبلها بشهر رَحِمَهُمُاللَّهُ.